

1re. Année, No. 16

بدل الاشتراك

٣٠ عن سنة كاملة

٢٠ عن ستة شهور

٦٠ عن سنة في الخارج

١ ثمن العدد الواحد

....

تصدر مؤقتاً

في أول كل شهر ونصفه

Vendredi, 1-9-1933

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع الساحة رقم ٣٩

بالقاهرة

تليفون ٤٢٩٩٢

المرآة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

العدد السادس عشر « القاهرة في يوم الجمعة أول سبتمبر سنة ١٩٣٣ - ١١ جمادى الأولى سنة ١٣٥٢ » السنة الأولى

obeykandi.com

بدل الاشتراك

٣٠ عن سنة كاملة

٢٠ عن ستة شهور

٦٠ عن سنة في الخارج

١ ثمن العدد الواحد

....

تصدر مؤقتاً

في أول كل شهر ونصفه

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistiqueصاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسؤول

أحمد الزيات

الادارة

بشارع الساحة رقم ٣٩

بالقاهرة

تليفون ٤٢٩٩٢

العدد السادس عشر « القاهرة في يوم الجمعة أول سبتمبر سنة ١٩٣٣ — ١١ جمادى الأولى سنة ١٣٥٢ » السنة الأولى

على الشاطئ...!

الشاطئ شاطئ استانيلى! واليوم يوم الأحد! والطرق الجميلة
الصاعدة إلى هذا الخليج البهيج تصب فيه أنماطاً من الناس، في
أنماط من اللباس، وكلهم في سن أهل الجنة! وكنت في هذا
التيار الحار المتدفق كأنتى السمكة الغريبة، تفقد الاختيار، وتحشى
كل شيء!

هبطت مع الهابطين إلى هذا الشاطئ على سلم من سلامه،
ثم أرسلت فيه عيني فاذا هو مستدير على صدر الماء، استدارة
الهلال البازغ على صدر السماء، وإذا النجوم الزواهر من الأنس
تحتاج في قلب هذا الهلال اختلاج العواطف الرقيقة، تماس في
رفق، ثم تنفج في سهولة!!

أخذت أخطو ويبدأ بين العذارى المتجردات، على استحيا
وارتباك! فلما لم أجد فيهن حتى من تنقى النظر باليد، كما فعلت
« متجردة النابغة » حين سقط نصيفها ولم ترد إسقاطه، أرسلت
نفسى على طبيعتها في هذا الحمى المباح، وذكرى الأستاذ
« الثعالى » وهو يقول بالأمس في لهجة جازعة: « اذهب بربك
الى (استانيلى) ثم صف ما تراه »

هاتان عيناى يا صديقى مفتوحتين! وهاتان أذناى مرهفتين!
فاذا أرى وماذا أسمع؟

أكشاك أنيقة الصنع والوضع، تدرجت طبقاتها الثلاث على
حضن الشاطئ! ومظلات شتى الألوان قد ركزت هنا وهناك في
منحدر الساحل، وجمع حاشد عارى كسوق الرقيق في ألف ليلة وليلة

فهرس العدد

صفحة

٣	على الشاطئ: أحمد حسن الزيات
٥	الآمل اليائس: للدكتور طه حسين
٧	بين اليأس والرجاء: للأستاذ أحمد أمين
٨	ستانيلى باى: لأستاذ كبير
١٠	أحياء ذكري ابن خلدون: محمود ابوريه
١١	مطالعات في التصوف الاسلامي: محمد مصطفى حلمي
١٤	الزينة عند قدماء المصريين: للأستاذ حسن صبحي
١٦	حى بن يقطان: لأحمد المحمود
١٩	بلاط الشهداء: للأستاذ محمد عبد الله عنان
٢١	عكاظ والمربد: للأستاذ أحمد أمين
٢٣	ذقة مرتين: للأستاذ بشارة الخورى
٢٣	حلم: حسين شوقي
٢٣	ليل المذهب: رفيق فاخوري
٢٣	حياة ثانية: صالح جودت
٢٤	الذكرى: م. جميل سلطان
٢٤	على لسان شاب مصرى في الثلث الأول من القرن العشرين
٢٥	عبد الحق حامد: للدكتور عبد الوهاب عزام
٢٧	وإذا أتى يوماً: للأستاذ أنى قيس
٢٨	بوفون: عبد الوهاب حومه
٢٩	بحر ناعس: أحمد محمد اليه
٢٩	اللقاء العجيب: محمد ناجى الططاوى
٣٠	نشوء الكائنات الحية على وجه البسيطة: بشير الياس اللوسى
٣٢	الاقيانوغرافيا: للدكتور حسين فوزى
٣٧	جنة الصحراء الغربية: للأستاذ محمد ثابت
٣٩	بلياس ومليزاند: لموريس مارتلك—ترجمة الدكتور حسن صادق
٤٢	الفجر—القصاص—القصاص—القواميات: للأستاذ ز.ن.م

— الذي يحملك على هذا الحسبان ؟
 — ذلك من أثر الرقص والرياضة ، ستكتب ولا شك عن
 هستانى شيئاً فى الرسالة !
 — وهل قرأت ما كتب عنه ؟

— قرأته ولم أسغه ، لانه شديد المبالغه سطحى النظر ، وأى
 بأس فى أن تمتع المصرية جسمها كله بأشعة الشمس ، وماء البحر
 كالغرية ؟
 — لا بأس ، وأظنها تدرك ذلك كله فى شاطئ خاص وفى
 لباس مناسب

— أن شمس الشواطئ كما تعلم إنما تقصد لخصائص أشعتها ،
 وكلما تعرض أكثر الجسم لها ، كان أكثر انتفاعاً بها ، والامر
 فى الشواطئ كالامر فى المراقص والمرايض ، يهيمن على الحياة
 فيها روح رياضية عالية ، تغنى كل إنسان بشأنه عن شأن غيره ،
 فالراقص لا يفكر الا فى الرقص ، والمتراس لا يفكر الا فى الحركة
 والمستحم كذلك لا يفكر الا فى الامواج والاشعة

— ابدئى بالمثال قبل القاعدة يا آنسة . اين تجدين الروح
 الرياضية فى هذه المرأة التى علت صدر هذا الرجل لتتعلم فوقه
 السباحة ؟ وأين تجدين الروح الرياضية فى هذين الجسمين الراقدين
 على الرمل يتلماسان بشهوة ، ويتناجيان بنشوة ، وقد انمحي من
 حولهما البحر والشاطئ والناس ؟

أرى يا آنسة أن المرأة تسيء الى نفسها بهذا التبذل - حتى من
 الجهة النسوية الخالصة - فانها متى فقدت سحر المحجوب ، وجاذبية
 المجهول ، أصبحت كسائر الاناث من سائر الحيوان
 عفواً يا آنسة اذا اصطنعت فى خطابك لهجة الأستاذية ، فانها لاتزال
 أقوى الصلات التى أمت بها اليك

ألا تلاحظين أننا فى الجسد تتطور ببطء موئس ، وفى الهزل
 تتطور بسرعة جامحة ؟ لقد كنا بالأمس نتجادل فى السفور ، وها
 نحن أولاء اليوم نتجادل فى العزى !!

أستودعك الله يا آنستى ! وأسلم على أهلك وأخيك
 ثم أخذت طريقى على الشاطئ . الشهوان وفى نفسى كلام
 حبسته ! على أن من الظلم الموروث أن الرجل يشارك المرأة فى الذنب
 ثم يفردها بالعقوبة ! فالأب يقود ابنته عارية الى الشاطئ ، والزوج
 يجلس مع زوجه عارية على المقصف ؛ والآخ يتعزى مع أخته فى
 الكشك والبحر ، ثم يندلع لسان النقد على المرأة وحدها فيتهمها
 بخنق الفضيلة ويرميها بذبح الخلق !!
 يا قوم ، لقد فقتشم فى الشواطئ كثيرا عن حياء المرأة ، ففتشوا
 فيها ولو قليلا عن نحوه الرجل !!

قد بعثر أمام الأكشاك وتحت المظلات وفوق الرمال وبين المياه ،
 وصراع لذيد غنيف بين أفواج البر ، وأمواج البحر ، تنخلله صيحات
 وضحكات كرنين الفضة المصفاة ، وأحاديث كهمس الأوتار تطير
 من بين الشفاه البواسم ؛ كما تطير أنفاس الصبي الحالم ، ولكنها
 لا تصعد الى حيث يصعد السكلم الطيب والعمل الصالح ! وبيئة
 أجنبية ناسها غير ناسنا ، واحساسها غير احساسنا ، ولغتها لغة
 فرنسا لا لغة مصر ، وسمرتها سمرة الشمس ، لا سمرة الجنس !!
 فعلام اذن هذا الجزع الباكي ، والقوم انما يجرون على أعراقهم ،
 ويعملون على مقتضى أخلاقهم ، وبين قتياتنا وفتياتهم من العرف
 الاسلامى حجاب ، ومن الحياء الطبيعى وازع ؟

كنت ألقى على نفسى هذا السؤال حين جرجر البحر احدى موجاته
 الضخام الى أعلى الساحل ، فخرت الى فوق أتقى هذا المد المفاجئ
 فاذا بي واقف ازاء مظلة جميلة منعزلة ، قد انبطحت تحتها فتاة ناهد لم
 تقع العين منذ الصباح على أكمل منها صورة ! وكان ذعر السائرين
 من هجمة البحر قد لفتها لتنظر ، فلما وقع بصرها على نهضت نهضة
 الطي الفزع تحيى بالعربية أستاذها القديم !

— أوه ! فلانة ؟
 — نعم ! ويسرنى أن أراك بعد خمس سنين
 — هل أنت وحدك هنا ؟
 — كلا بل معى أخى ... وقد أعجبه صراع الامواج الثائرة
 فذهب الى (الكابين)

— وكيف حال البك ؟
 — الحمد لله خير حال ! وما أكثر سؤاله عنك وأشد شوقه
 اليك ! لقد كان جالسا بالكازينو ثم انصرف الى البيت منذ قليل
 قالت ذلك تليدنى الارستقراطية المسلمة وهى تنصب كرسيها
 طويلا من القماش دعتنى الى الجلوس عليه ، ثم جلست هى على كرسى
 آخر ، وكانت كأمها حواء لا يستر جسمها العارى الا « ورقتان »
 خصفتهما عليه ، من أمام ومن خلف ! فسرعان ما ذكرت ذلك
 المكتب الفخم الذى كانت تجلس قبالتى عليه لتستعد لامتحان
 البكالوريا وهى ملففة بثوبها الأزرق الانيق المسبل ، وعيناها
 الساجيتان لا تفارقان الصحيفة حياء وخفرا ، وثغرها الحى الدقيق
 لا يرسل سهل الكلام الا فى تلثم وبطء !!

لم تدعنى الآنسة فى ذكرى الارثما ردت التحية على فتاة فى
 مثل حالها وجمالها ، كانت تسير فى رفقة شاب شديد السمرة غطى
 كتفيه شعر كثيف ، كصوف الخروف
 — هذه ابنة فلان وهذا الذى معها أخوها ، وهذه ابنة فلان
 وهذا ابن عمها ، وهذه المضطجعة فى الشمس بنت فلان ومخادتها
 صديق من أصدقاء أخيها

— لولا علمك يا آنسة لحسبت هؤلاء جميعاً أجنباً !

محمّد الزيات

الاسكندرية

الأمل اليائس

للدكتور طه حسين

ولدت في آخر القرن السابع عشر سنة ١٦٩٧ . وماتت في آخر القرن الثامن عشر سنة ١٧٨٠ ، وجمعت لنفسها من مزايا هذين العصرين ، ما جعلها أبرع الناس أدبا وأشد الناس شكا ، وأوسع الناس أملا ، وأقمت الناس يأسا ، وأظهر الناس فرحا ، وأعمق الناس حزنا . ولكنى أنسيت أن أسميها ، وقد كان يجب أن أبدأ بتسميتها هذا الحديث . فهي ماري دى فيشى شمبند Marie de Vichy Champrond التى يعرفها تاريخ الآداب الفرنسية باسم مدام دى ديفاند . Madame du Deffand .

كان مولدها ونشأتها في هذه السنين القاسية التى ختمت حكم لويس الرابع عشر . وأدركها اليتيم طفلة فإرسالت الى دير من هذه الادييرة التى كان يرسل اليها بنات الأغنياء . وكانت أسرتها عريقة فى الشرف والنبل ، متقدمة فى خدمة الدولة . محتفظة بمكانة رفيعة بين أشراف الأقاليم . وكانت هذه الاسرة من أشراف بورجونى ، Bourgogne وأهل هذا الاقليم من فرنسا معروفون بالرشاش القوى ووحدة الذهن . وذلاقة اللسان ، وحب الحياة ، وإيثارات تقدمه الى الناس من لذات . فلم يطل مقام هذه الصبية فى ديرها الارستقراطى حتى ظهر من حديثها وسيرتها ما أقلق الاسرة . وأقلق رئيسة الدير . ويجب أن يكون هذا الذى ظهر من سيرتها وحديثها خطيرا جدا . فلم تكن أسر الاشراف لتقلق من شىء يسير . ولم يكن أهل الادييرة ليضيقوا الا بالشىء الذى لا يطاق . ذلك بأن حياة الناس فى ذلك العصر كان قد أخذها الفساد الخلقى ، من جميع نواحيها ، حتى استهانوا بكل شىء ، وتجاوزوا عما لم يكن يتجافى الناس عنه الا فى مشقة وعنف . وحسبك أن تعلم أن الادييرة كانت قد استحالت فى ذلك العصر الى قصور فخمة يلبو فيها من أبناء الأشراف وبناتهم من لم تسمح له ظروف الحياة بالعمل فى السياسة أو فى الجيش ، ومن لم تتح له ظروف الحياة أن يظفرن بالزوج . وكان بنات الأشراف خاصة يتخذن من هذه الادييرة دورا للعبث واللغو ، يسترن ذلك بستار رقيق من اسم الدين . ولم يكن ليتخرجن من استقبال الزائرين والزائرات ، ولا من اقامة الحفلات الراقصة ، بل كان الرقص والموسيقى جزأين أساسيين من برنامج التعليم الذى كان يلقي اليهن فيها : فاذا استطاعت صبيتنا هذه أن تزعج اسرتها ،

ورئيسة الدير بما أظهرت فى سيرتها و أحاديثها من خروج على التقاليد ، فيجب أن تكون قد أتت أمرا عظيما . وهى قد أتت أمرا عظيما حقا ، فقد كانت تجادل فى الدين ولما تبلغ الثانية عشرة ، وكان جدأها هذا خطرا مخيفا . لأنها كانت تنكر أصول الدين انكارا . وقد استعانت الاسرة ورئيسة الدير على جحود هذه الصبية بعظيم من عطاء الكنيسة وخطيب من أبرع الخطباء فى عصره وهو ماسيون Massillon فدعى هذا الخبر للقاء هذه الطفلة ومحاورتها ، فلما رآها سمع لها وتحدث اليها وانصرف عنها يائسا وهو يقول انها لظريفة . فلما سألت رئيسة الدير عما تصنع لردّها الى طريق الحق أطال الصمت ثم قال : ضعى فى يدها كتابا من أرخص كتب الدين ، ثم لم يزد على ذلك شيئا . وذكرت الصبية حين تقدمت بها السن حوارها مع هذا الخبر العظيم ، فقالت : إن عطفى قد اضطرب أمام عقله ، وقالت انى لم أذعن لحجته وانما أذعنت لجلاله ؛ ومعنى ذلك أن الخصمين التقيا فلم يقنع أحد منهما صاحبه ، ولكن أكبر كل منهما صاحبه . فلما بلغت هذه الفتاة العشرين أو جاوزتها قليلا ، زوجت من رجل شريف ، عظيم الخطر ، من حكام الاقاليم . ولكنها لم تكند تقضى معه اشهرا حتى أنكرته وضافت به وكرهت عشرته كرها شديدا . وكانت تقول عنه إنه يبذل أقصى ما يستطيع ليسوءك ويصرفك عنه . على أنها قد اقنعتة بالرحلة الى باريس . ولم تكند تصل الى هذه المدينة وتستقر فيها حتى اندفعت فى حياة اللغو والعبث ، اندفاعا لفت اليها الناس ، وجعلها موضوع الاحاديث فى هذه المدينة الباسمة اللاهية . وكان لويس الرابع عشر قد مات ، وكان أمر الدولة الى الوصى الذى أقيم على الملك ، الصبي لويس الخامس عشر . وكان هذا الوصى صاحب لهو لاحد له ، وصاحب مجون وعبث لاحد لها أيضا . وكان الناس قد ساروا سيرته كأنما أرادوا أن يعوضوا ما فاتهم فى تلك الايام الحزينة التى ختمت حكم الملك الشيخ ، وما أسرع ما اتصلت صاحبتنا بقصر الوصى واشتركت فيما أقام فيه من حفلات ، ثم اتصلت بالوصى نفسه ، وأصبحت له خلية ولكن حبه لها لم يتجاوز خمسة عشر يوما . على أنها قد رجحت من هذا الحب القصير ستة آلاف من الجنيهات الفرنسية ، تصرف لها فى كل عام ما امتدت لها الحياة . واسرفت صاحبتنا فى اللغو حتى أنكرها أصحاب اللغو من أهل باريس ، وحتى ساءت الصلة بينها وبين زوجها ، فافترقا دهرآ ثم كان بينهما صلح لم يطل ، وعادا الى الفرقة . ثم كان بينهما صلح آخر ، قوامه أن يلتقيا على الغداء والعشاء . والايعيشا معا ، ولكن هذا الصلح نفسه لم يتصل أيضا ، ففرق بينهما . وعاد الرجل الى قصره فى الأقاليم وأقبلت هى على لوهوا فى باريس لا تدع

فنا من فنون العبث الا أخذت منه بحظ عظيم ، على أنها لم تكذب تجاوز الثلاثين حتى تبين أن ما هي فيه من الأمر باطل كله ، وحتى سئمت اللهو ، وعافته ، وأخذت نحس انصراف الناس عنها . فأوت الى أخ لها قسيس أقامت عنده دهرأ ثم انصرفت عنه الى أخ آخر لها في الأقاليم ، ثم عادت مرة أخرى الى باريس . واتصلت بقصر من قصور الأشراف كان يؤوى أكبر من تعرفهم فرنسا وأوربا من الأدباء والفلاسفة ، وأصحاب الفن ، وفي هذا القصر ظهرت قيمتها الأدبية ، واستكشفت براعتها في الحديث وتبين الذين عاشروها أنها امرأة ليست كغيرها من النساء ، بل ليست ككثير من الرجال ، وإنما ممتاز بقلب ذكي ، وعقل قوى ، ولسان فصيح عذب ، ومهارة في تصريف الحديث لا تبلغ الاعجاب وحده ، ولكنها تبلغ اعجاز المحدثين مهما تكن منزلتهم ، ومن ذلك الوقت أخذ أمر هذه المرأة يعظم . وشأنها يرتفع ، لا من حيث انها امرأة جميلة خلابة . تحب اللهو وتسرف فيه ، فقد كانت في ذلك الوقت قد بدأت تقصر عن اللهو وتعزى افراس الصبي ورواحله ، كما يقول زهير ، بل من حيث انها امرأة ادبية اربية يستطيع ان يستمتع بحديثها ، وعشرتها ، وبراعتها ، ذوو العقول . وقد آثرتها صاحبة القصر إثارة عظما حتى لم تكن تصبر على فراقها ، وأحبها فولثير ، وكلف بها منتسكيو ، وأطاف بها أعلام الادب ، والفلسفة من الفرنسيين يستبقون الى مودتها ، وما هي الا أن تتخذ لنفسها دارا في باريس وتدعو اليها أصدقاءها هؤلاء من الأدباء والعلماء والفلاسفة يسمرون عندها يوم الأربعاء من كل أسبوع . ثم تضيق هذه الدار بمن يقصد اليها من رجال فرنسا وأوربا على اختلافهم ، فتنحول عنها الى دار أخرى رحبة تستأجرها في دير من هذه الأديرة الارستقراطية في باريس . وفي هذه الدار التي استأجرتها كانت تقيم قلبها مدام دي منتسبان خليفة لويس الرابع عشر ، تلك التي ملأت حياة الملك العظيم لذة وإثما ، وكلفت رجال الدين من حوله مشقة وجهدا ، والتي كانت تؤوى الى هذا الدير من حين الى حين تستغفر الله من خطاياها ، وتضرع اليه في الوقت نفسه أن يحفظ عليها هذه الخطايا . أقامت صاحبتنا في هذه الدار ، ونظمت استقبالها لأعلام فرنسا مرتين في الأسبوع يتناولون عندها العشاء ، ويسمرون الى قريب من آخر الليل ، ويتحدثون فيما شئت من أدب وعلم ، ومن فلسفة وفن ، ومن سياسة وحرب . ولكنها لم تكن تحب أن تشارك الأدباء والعلماء والفلاسفة فيما كان يجري بينهم من حوار ؛ لأنها كانت تكره الادب والعلم ، وكانت تكره الفلسفة خاصة

وتضيق بها ضيقا شديدا ، وكانت تعنى بأشخاص زائريها أكثر مما تعنى بما كان عندهم من علم ، أو أدب ، أو فلسفة . كانت مسرفة في الشك ، وكان إشرافها في الشك يصرفها عما كان يكلف به الناس في عصرها من هذه الفلسفة الحرة الغالية التي كانت تعمل في الهدم ، أكثر مما كانت تعمل في البناء . وتقدم السن بصاحبتنا وقدمات زوجها وأصبحت حرة حتى أمام القانون ، وقد جدت في تنظيم حياتها وانصرفت عن اللهو والمجون الى حياة الجد ولذة الحديث والسمر ، ولكنها على ذلك اتخذت لها خليلة عاشت معه عيشة الأزواج ، لم تكن تحبه ولكنها لم تكن تكرهه ، إنما كانت تستعين به على احتمال الحياة ، كما كانت تستعين بكل شيء على احتمال الحياة ، فقلما عرف تاريخ الآداب امرأة ضاقت بالحياة كما ضاقت بها هذه المرأة ، بل قلما عرف تاريخ الآداب رجلا ضاق بالحياة كما ضاقت بها هذه المرأة . كانت متشائمة كأشدا ما يكون التشاؤم ، وكانت تردد هذه الكلمة التي تقر بها من أبي العلاء وهي : إن شر من ابتلينا به من الشقاء ، إنما هو الحياة . وكانت تستعين بإشرافها في المجون والعبث ، ثم في الجد والانتاج الأدبي على احتمال الحياة ، ولعلها لم تله ، ولم تعبث ، ولم تجد الا لتنسى الحياة وتنصرف عن نفسها . فقد كانت تكره العزلة وتخافها خوفا شديدا ، فكانت تسهر الليل ، ولا تنام الا قليلا في النهار ، وتتفق وقتها قارئة أو لاهية ، أو مستقبلية . ولا تسكاد تبلغ الخمسين من عمرها حتى يتم الله محنته لها ، وحتى يأخذها الشقاء من كل وجه ، فهذا حجاب رقيق يلقي شيئا فشيئا بينها وبين النور ، ثم يتكاثف هذا الحجاب قليلا قليلا ، وهي نحس ذلك وتجزع له وتلجأ الى الاطباء والسحرة ، والمشعوذين ، فلا تجدد عند أحد منهم شيئا . والحجاب يتكاثف ويتكاثف ، حتى يستحيل الى سور صفيق يقطع كل سبب بينها وبين الضوء . وإذا هي عمية . أفطن ذلك قد غير من سيرتها أو اضطرها الى شيء من القصد والاعتدال ، ليس من شك في أنها قد حزنلت لذلك حزنا عميقا ولكنها حزن اضعف الى حزن . حفظته في أعماق نفسها ولم تظهر منه للناس شيئا . إنما كتبت الى بعض أصدقائها من أعلام الادب والسياسة تنبؤهم بهذه الكارثة ففهم من رق لها كفولثير ، ومنهم من عبث بها كمنتسكيو ، وكلهم قدمضي في كبارها ، والاختلاف اليها ، لم يغير من سيرته شيئا كما لم يغير هي من سيرتها شيئا . فظلت مائدتها تقام يوم الاثنين والأربعاء من كل أسبوع ، وظلت تختلف الى الاوبرا والملاعب ، وتشترك في الحفلات كما كانت تفعل من قبل . واتخذت

بن اليأس والرجاء

للأستاذ أحمد أمين

أعنى ، وموجز دعوتهم أن يتحول الشرق في لغته وأدبه إلى الغرب في لغته وأدبه ، لا ان يختار من لغة الغرب وأدب الغرب ما تلقح به لغة العرب وأدب العرب .

ودعاة الاجتماع أدهى وأمر ، فليس في الشرق كله مايسر ، قد جرده الله من كل حسن ، فلا طبيعته جميلة ولا مناظره جذابة ، ولا شيء فيه يأخذ باللب ويدعو إلى الإعجاب ، والقمر في الغرب أنور منه في الشرق ، والبحر الأبيض قد جمل منه ما لامس الغرب ، وقبح ما لامس الشرق ، وكل شيء في عادات الشرق وتقاليد تعافها النفس ، وينفر منها الطبع ، وعلى الجملة قاله تعالى الواهب ماشاء لمن شاء قد جمع الحسن كله في ناحية ، وقال له كن الغرب فكان ، وجمع القبح كله في ناحية وقال له كن الشرق فكان . وهم اذا لم يقولوا ذلك كله جهارا آمنوا به ايمانا ، وصدرت عنه أفعالهم ، واتجهت اليه حياتهم .

ودعاة العلم من هذا الطراز ، فكتب العلم العربي انما تصلح لدارس التاريخ أو طعمة للنار ، وماذا فيها إلا تخريف أو تحريف ، قد كانت نتاج القرون الوسطى ، ونحن نتاج العصر الحديث . ومالى وللسياسة ودعاتها فلا هرب منها انقاء لنارها . ومجالسنا صدى لهذا الصوت ، فاذا استثنيت عشر معشارها فكلها نقد للأخلاق ، وطعن في حياة الشرق ، وتهجم على حال أمتهم ، وتهجم لكل ما يصدر منهم . وقل أن تسمع صوتا ينطق بمدح أو يعجب ببطولة ، أو يتغنى بعمل مجيد .

هذه نعمة مملولة كانت أجنى على الشرق من كل عيوبه ، ولن تفلح أمة من غير ذخيرة تعز بها ، ومجد طارف وتلد تعتد به ، ونعمة قومية تدعوها الى الفخر والاعجاب . ولأمر ما قال تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس » وليس عشنا أن يكون في أناشيد الألمان « ألمانيا فوق الجميع » وأن يعتقد بعض الأمم في أنفسهم أنهم شعب الله المختار ، ونحو هذا مما ينعش الأمل ، ويدعو الى العمل .

تلك ظاهرة نفسية لا مجال لأنكارها ، فاعتقد الغباوة في طفلك وكرر عليه اعتقادك تقتل كل مافيه من ذكاء ، واعلم أنه ذكى وشجعه على مايدر منه من ضروب الذكاء تستخرج أقصى ماعنده من عقل . وفي المثل الانجليزي « دَعُوا الكلب

صوتان لا بد أن يرتفعا في كل أمة ، ويجب أن يتوازنا حتى لا يطغى أحدهما على الآخر ، صوت بين عيوب الأمة في رفق وهوادة ، ويستحث على التخلص منها والتحرر من قيودها ، وصوت يظهر محاسنها ويشجع على الاحتفاظ بها والاستزادة منها . والصوتان معا إذا اعتدلا كونا موسيقى جميلة منسقة تحدى الأمة الى السير الى الامام دائما ، هي موسيقى الجيش تبعث الرجاء والأمل ، وتمنى بالنصر والظفر ، فان بغى أحد الصوتين كانت موسيقى مضطربة تهوش النفس وتدعو إلى الفوضى والارتباك ، وإذا كان « الدور » في الموسيقى يكون منسجما كله ، ويشدأ أحد أصواته لحظة فيكون « نشازا » يחדش السمع ويجرح النفس ، فما ظنك « بدور » كله « نشاز » ؟

نما يدعو إلى الأسف أن صوتا في الشرق علا كل صوت ، وهو ليس خير الأصوات واحبها إلى النفس ، هو صوت اليأس والتثييط يتغنى به كل أصناف الدعاة ، فخطيب المسجد تدور خطبته دائما على أن من يخطبهم ليسوا مؤمنين حقاً ، فقد ارتكبوا من الأوزار ، واجترموا من الآثام ما أخرجهم عن الإيمان الحق ، وأبعدهم عن الدين الصحيح ، ولو آخذهم الله بأعمالهم لأمطرهم حجارة من السماء ، أو خسف بهم الأرض ، ثم يصب هذا المعنى كل أسبوع في قالب ، وكل القوالب تختلف أشكالها ، ويتحد معناها ، ويخرج السامع دائما وقد ملأه اليأس ، وانقطع به الرجاء ، الا أن يتداركه الله بعفو ليس جزاء على عمل .

ودعاة اللغة والأدب يلحون في أن اللغات الأجنبية خير من اللغة العربية ، وأن الأدب الأجنبي أدب الثقافة والفن والعلم ، ولا شيء من ذلك في الأدب العربي ، وأن من شاء أن يفتح عينيه فليفتحها على أدب أجنبي ولغة أجنبية ، وإلا ظل

ستانلى باى!

لأستاذ كبير

لم يشأ أن يتعرف لقرائنا اليوم

نعم هو ستانلى باى الذى تكتب عنه الآن الجرائد اليومية كل يوم . والذى تكتب عنه المجلات الأسبوعية كل أسبوع . . .
فما للرسالة لا تساهم فى حديثه وقد أصبح حديث جميع من فى مصر . . . ؟

أفليس هو الذى يزوره (الأستاذ الصاوى) فيتسكلم عنه فى (الأهرام) يومين متتاليين ؟
أليس هو السر فى (قطر الندى) كما يسميه أهل الاسكندرية الظرفاء . وهو نفس ما يسميه مدير السكة الحديدية (قطار البحر) ؟
أليس هو الذى حرّمته القاهرة فقد ساء فنانوها من مديري المسارح والصالات ينقلون مشاهدته الى مسارح القاهرة ؟
أليس هو الذى يشغل بال حكامدار بوليس الاسكندرية ورئيس نيابة الاسكندرية ؟

ثم أليس هو الذى استلقت أخيراً نظر رجال الدين ، على رغم ما هم آخذون فيه من توزيع (الطوابع) الجديدة التى ابتكروها لاسترداد هبة الاسلام واعلاء كلمة الدين ؟ !

إن الرسالة وقد جعلت مهمتها أن تقاوم حيرة الأمة بتوضيح الطريق لما جاء فى عهدها ، لا تستطيع أن تفتك من قيود التحدث الى الأمة فى هذا الموضوع الذى يشغل الدنيا والدين على السواء !
ولقد كان من حق قراء (الرسالة) أن ينتظروا كلمة من بعض أعلامها المعهودة أو تعليقا من حامل شعلتها الوضاعة . ولكن يخيل إلينا أن هذه الأقلام قد استراح كل منها الى موضوع فهو لا يفتأ يتقلب فيه ، وقد استقل كل منها يبحث فهو لا ينفك يحول فى حواشيه ، فالدكتور عزام مثلاً فى محمد اقبال وعبد الحق حامد وناهق كمال . والأستاذ العبادى ما بين زرياب وعمر بن عبد العزيز . والأستاذ أمين أخيراً فى عكاظ والمربد . والدكتور طه أخيراً أيضاً فى لغو الصيف ما بين مصر وما وراء مصر ولكن لا عن طريق ستانلى باى والسلام !

فلم يبق بعد ذلك الا أن يتقدم الفضوليون الذين لا يريحون ولا يستريحون . وإنى أعوذ بالله . . . وأنا أنير هذا الموضوع . أن أكون أحد هؤلاء . . .

عقورا فشئق» يعنون أنهم اعتقدوا فى كلب سوء وسموه عقورا وظلوا يطلقون عليه هذا الاسم حتى صدر منه من أفعال السوء ما استوجب قتله ، وفى أمثالنا العامية « قالوا للفلاح يا حراى شر شر منجله » ذلك أن الاتهام يحمل على ارتكاب الجريمة من ناحيتين : من ناحية الإيعاز ، فمن اتهمته فقد أوعزت اليه واقترحت عليه العمل ، وأظهرت له الجريمة ماثلة أمام عينه حيناً بعد حين - ومن ناحية أن أكبر ما كان يمنع من الشر خوفه أن يتهم بالشر ، فإذا اتهمته فقد كان ما يخشاه ، وأقدم على ما كان يتحاماه ، هذا الى ما يوحيه الاتهام الدائم من شعور باطنى يسيره نحو العمل وفق الاتهام ، وهذا هو السر فى أن بعض قوانين تسن لمعاقبة بعض أنواع الأجرام فتكون سببا لكثرة الأجرام ، ثم ترفع فيقل الأجرام ، لأن وجود القوانين كان موعزا بارتكابها - ولعل أنواعا من الآثام زادت بكثرة الكلام فيها من جهلة الوعاظ ممن لم يحسنوا دراسة النفوس وقوانينها

إذا سقط الفتى فأريته أن سقطته قابلة للعلاج ، وأخذت يده لا تنشاله ، كفر عن سقطته وعاد الى حاله ، وإن أنت أريته أن سقطته لا تغتفر ، وأنه لم يصبح انسانا استمر يسقط أبداً - وكثير من الساقطين والساقطات لو أحسوا فى الناس استعداداً لقبولهم ، وشعروا أنهم يفسحون لهم فى صدورهم لعدلوا عن سقطتهم ، ونهضوا من عثرتهم .

وبعد فليس الشرق ، بدعا من الخلق ، إن اعترز أحد بماض فليس أبجد من ماضيه ، وإن كان لكل أمة غريبة محاسن ومساو فللشرق محاسنه ومساويه ، وإن كانت مساوى الغرب لم تمنعه من نهوضه فلم تمنع الشرق مساويه من نهوضه ؟ ليس أعوق للشرق من هذا الصوت الكريه يصدر من دعائه فيبعث اليأس وينفث السم .

أيها الدعاة : كسروا قيثاركم هذه التى لا توقع إلا نعمة واحدة بغیضة ، واستبدلوا بها قيثار ذات ألحان صنعها طِبُّ بأدواء النفوس عليم ، واكثروا من ألحان تبعث الأمل ، وتدعو الى العمل ، وتزيد الحياة قوة ، ولا تشهروا برذيلة الا اذا أشدتم بفضيلة ، ولا تسمعونا صوت المعاول ، الا اذا أريتمونا حجر البناء ؟

أما اعتبارات الجد والاحتشام وما إلى ذلك من تلك الأغراض التي اتخذ الإنسان الأول من أجلها اللباس فقد انطوت مع أهلها ومع زمانها

ثم دعني أعود بك إلى الحذاء . أفلا يتخذ النساء الآن مخزما مهلهلا مثقبا ؟ وهو على الرغم من كل ذلك يلبس فوق الجلد بغير جوارب أو نحوها .

خذثني بعد هذه الصورة وكن صريحا .. أي المظنرين أشهى للعين وألفت لنظرها ؟ أهى القدم الحافية أم المستورة تحت مثل هذا الحذاء المفضوح ؟ أهو الجسم الصريح الهادي على علته أم ذلك المرائي المتحصن في كل تلك الغلائل ... هذه تبرز نهديه ... وتلك تضغط كشحيه ... وغير هذه وتلك من الخرق والمزق التي تغريك كل قطعة منها بكشف ما دونها ومعرفة ما وراءها !

إن ما يثير الرجل من المرأة ليس هو ظهرها المتجرد ، ولا هي سيقانها العارية ، ولكنها نظرتها الساجية التي ترخيها في وجه الرجل كأنما تدافعه عن نفسها وهي إنما تراوده بها عن نفسه !

وليست المرأة العارية هي التي تبعث الفشة ، فقد علمنا أن في هذه الدنيا قبائل كاملة يعيش نساؤها عاريات وسط الرجال . فلم نسمع بأن ذلك كان مدعاة إلى أن يتخطف الرجال بعض هؤلاء النساء . ولا أن تشيع الفتنة والفساد في تلك البيئة بسبب هذا العراء . ولقد علمنا من الجانب الآخر بأن الفتنة على شر ما تكون هنا في طرقات القاهرة والاسكندرية حيث (الملاءات) التي تنسدل من الرأس إلى القدم ، ومع ذلك فأنها لا شأن لها إلا أن تحسر الأرداف ، وتحسر عن بعض السيقان ، تبدى جانبها منها وتضن بالجانب الآخر ، إمعانا في الفتنة واستفزازا للغرائز

* * *

أنى أحدثك صادقا أن الرجل يكون في البحر أو فوق الشاطئ متوج حوله السيقان ، وتصطبخ الأنداء ، وتتلألا الظهور ، وترقرق النحور ، فلا يشغله كل ذلك بمثل ما يشغله في الطريق وقوف امرأة تميل على جوربها ترفعه ، أو انشغال أخرى بذيل ثوبها ترخيه على ساقها بعد إذ هفا به من فوقهما النسيم

* * *

وعلى الرغم من كل ذلك فأن النياية ... والبوليس ... والصحافة ... ورجال المطافئ ... ورجال الدين ... كل أولئك يعلنون الحرب عوانا على « شاطئ ستانلي باي » « مصطاف »

كنت من رواد هذا الشاطئ منذ نحو عشرة أعوام . ومازلت أزوره كل عام . فأقسم لك صادقا أن لست أدرى فيم هذه الضجة التي بدأت تقوم حوله في هذه الأيام ؟ ...

لقد كان الطريق إليه فيما مضى متعبا متربا . فتعبد واستقام . وكان شاطئه مجهدا مرهقا في السير لغزارة رماله ، فقام إلى جانبه أفريز ممد سهل يجعل السير فوقه متعة من متع الحياة . وكانت (اكشاكه) على غير نسق ، يقوم فيها الكبير إلى جانب الصغير ، والوجه إلى جانب القمى ، والعالى المشرف إلى جانب المنخفض الوضع . فتناوله الذوق السليم بالتهذيب حتى أصبح في صورته الحالية درجات متماثلة بعضها فوق بعض كأنه القلادة الفرعونية تزين صورة ذلك الشاطئ الجميل .

هذا هو الشاطئ نفسه ما بين يومه وأمسه ...

أما أهله فهم هم أهل « ذلك » الزمان . وأما زعيم فهو زى « هذا » الزمان ! فمن أراد أن يشور بالشاطئ فلست أدرى لم لا يشور بكافة الطرقات التي تغشاها السيدات ؟ وهل أنت ترى فوق ذلك الشاطئ إلا من ترى في الترام وفي غير الترام من مسالك الاسكندرية وشعابها ؟ إنهم وحق أيك ليس فيهم من خلق جديد ، ولكنهم يبدون في الطريق بزى الطريق وينزلون إلى البحر في زى البحر . فانظر أية الزينتين أدعى للفتنة وأيتهما أقرب إلى الفجور ؟ ...

هذه سيدة في عربة الترام تراها وثوبها يغطي جسمها - وقبعها تغطي رأسها - وحذاءها يغطي رجليها . فهل حقيقة تغطي شيء من ذلك ؟

ألست ترى تحت القبة شعرا مصفوفا ، وجدائل بعضها يتدلى فوق الأذن ، وبعضها يزين الجهة ، وبعضها يمر فوق الخد لتلعب ضدية الألوان دورها في إبراز محاسن العنصرين ... اشراق الوجنة . وخومة الخصل ؟ !

ثم انظر ماذا فعل الثوب بالجسم ؟ ألم يفصله تفصيلا ؟ ألم يلف مفرطه وينهض بمسترخيه ؟ ويضغط هنا وينسدل هناك ؟ ثم ينشق فوق الصدر تلك الانشقاقة الماكرة التي يبدو منها انفلاق الثديين ! إنما مثل هذا الذي يفعله الثوب في جسم صاحبة كمثل المعلم الذي يمسك (بمؤشره) فيؤشر به لتلاميذه على هذا الموقع من الخريطة حيث « مجمع البحرين » وعلى ذلك حيث « مفرق الجباين » وهكذا

إن كل قطعة في لباس المرأة العصرية إنما يؤدي اليوم غرضا واحدا هو إبراز ذات المحاسن التي كان المقصود به أن تسترها .

أحياء ذكرى ابن خلدون

نشر الأستاذ محمد عبدالله عنان فصولاً في الرسالة أرّخ فيها العلامة ابن خلدون، فكانت هذه الفصول ولا غرو خيراً ما كتب في تاريخ هذا العلامة، بيد أن الأمر الذي يرحوه الناس ودعا إليه الصحافي العجوز في مايو سنة ١٩٣٢ بالاهرام لم يتحقق ولم يصل إليه . دعا هذا الصحافي الفاضل الى أحياء ذكرى ابن خلدون لكني ينتفع هذا الجيل وما بعده بهذه الذكرى الطيبة ، وقام الكتاب على أثر ذلك يبينون ما نعمل لأحياء هذه الذكرى ، وكان من رأى الأستاذ احمد زكي باشا أن ينصب له تمثال ، وان يبحث عن قبره ليشيد . وكان من الآراء القيمة النافعة ان يطبع تاريخ ابن خلدون ومقدمته وينشرا على الناس بنفقات طبعهما . وهذا الرأي كان خيراً والآراء وانفعها ، وقد انقضى عام وبعض عام بغير ان نرى أحداً قد نهض لأحياء هذه الذكرى . ولقد كنت قرأت في صيف سنة ١٩٣٣ للرحوم تيمور باشا بحثاً في الهلال ، أبان فيه انه لا يوجد في ما طبع من مقدمة ابن خلدون طبعة صحيحة ، وأنه رأى بخزانة الأستاذ زكي باشا نسخة مخطوطة صحيحة بقلم ابن خلدون نفسه ، فرجعت الى

احمد زكي باشا لأسأله عما قال تيمور باشا فأجاب بان لديه حقيقة نسخة مخطوطة مصححة بقلم ابن خلدون ، وأنه في سنة ١٩٣٠ أتى بصورتها عن النسخة الأصلية الموجودة بمكتبة عاطف افندي بالآستانة ، وزاد على ذلك بأنه يدعو من يشاء الى طبعها ونشرها . ولما استيقنت من وجود هذه النسخة أرسلت خطاباً الى رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر ، رغبت اليه أن تعمل اللجنة على نشر هذا الأثر الجليل ، فرد على حضرته في اغسطس سنة ١٩٣٧ بأن اللجنة تضع اقتراحاً موضوع البحث ، فقرحت بهذا الجواب وجعلته بشرى أذعتها بجريدة المقطم الغراء بين الناس . وهما قد انقضى ستة أعوام كاملة بغير ان يتحقق ما رجونا .

ولما كان من أغراض اللجنة الموقرة نشر الكتب القيمة ، وليس من شك في أن تاريخ ابن خلدون بمقدمته الموجودة بالخزانة الزكية هو خير ما ينشر من كتب الأوائل في هذا العصر ، فاني أعيد الرجاء على صفحات الرسالة الى هذه اللجنة الموقرة ، لتعمل على طبع هذا التاريخ ومقدمته ، ويكون ما كتبه الأستاذ عنان تصديراً لهذا التاريخ ، وبذلك تكون اللجنة قد أدت للعلم والأدب أجل عمل ، ولا بن خلدون أجمل ذكرى ؟ محمود أبو ريه

دائرة المعارف الاسلامية

«... انكم بترجمتكم لدائرة المعارف الاسلامية تؤدون أكبر خدمة للإسلام»

عمر طوسون

(من حديث لسموه مع أعضاء لجنة الترجمة)

«... ان لم تكن أعظم عمل على قامت به مصر فانه من أعظم أعمالها»

خليل مردم

(عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)

- يجب أن يقرأها كل شرقي -

- (١) لأنها أوسع قاموس تناول تراث الاسلام وما يتصل به .
- (٢) لأن شيوخ المستشرقين هم الذين قاموا بتأليفها وإصدارها .
- (٣) لأنها تمتاز بأسلوبها العلمي ووفرة ماذكرته من مصادر عقب كل بحث .
- (٤) لأن اللجنة القائمة بالترجمة تتحرى الدقة والامانة في النقل .
- (٥) لأن الذين يقومون بالشرح والتعليق والرد هم قادة الفكر في مصر والشرق العربي
- (٦) لأنها أنموذج جديد في شكلها وطبعها وطريقة إصدارها .
- (٧) لأن هذا العمل صادف القبول والتشجيع من جميع الهيئات العلمية والدينية في العالم العربي
- (٨) لأن قيمة الاشتراك زهيدة جداً .

عن ستة أعداد داخل القطر : ٤٠ قرشاً صاغاً مصرياً

» » » خارج » : ٧٠ قرشاً صاغاً مصرياً

(٩) يظهر العدد الأول في أول أكتوبر القادم . عدد النسخ المطبوعة محدود . ترسل الاشتراكات اذن بوسنة برسم أمين

مقر اللجنة : ٣٣ شارع قصر النيل بمصر

صندوق اللجنة ابراهيم زكي خورشيد

مطالعات في التصوف الاسلامي

تمهيد — كشف المحجوب — عوارف المعارف

— ١ —

١ — يمتاز العصر الذي نعيش فيه بانه عصر نهضة فكرية تناولت الحياة العامة والخاصة للأفراد والجماعات ويمتاز هذا العصر أيضاً بما استحدث فيه الباحثون من مناهج علمية لها قيمتها وأثرها في كشف الحقيقة التي يقصد اليها كل باحث . على أن هذه النهضة مهما تكن عامة شاملة ، وهذه المناهج العلمية الحديثة مهما تكن دقيقة منتجة ، الا أننا لا نزال نرى أن في تاريخ الفكر الاسلامي ناحية خصبة ممتعة طريفة قد أعرض عنها الباحثون من الشرقيين اعراضاً هو أقرب ما يكون الى الاهمال الشنيع منه الى أى شئ آخر . على حين ترى الباحثين من المستشرقين قد عنوا بهذه الناحية عناية خاصة فائقة . فكشفوا عن خباياها وأظهروا ما اشتملت عليه من فكر عميق وشعر رقيق . وأحسوا بآثاره في نفوسهم هذه الآثار من متعة عقلية ولذة شعورية . هذه الناحية التي أهملها الشرقيون وعنى بها المستشرقون هي ناحية التصوف الاسلامي وما أنتج فيه من مؤلفات لها مكانتها الأدبية ، وقيمتها الفكرية بين ما أنتج العقل البشري عامة ، والعقل الاسلامي خاصة .

وليس أدعى للأسف ولا أبعث على الحسرة من أنك اذا أردت أن تعرف شيئاً عن تاريخ التصوف الاسلامي : نشأته وتطوره ، وان تلم الماما كافياً بمن ظهر من متصوفة المسلمين في عصور الاسلام المختلفة ، وما صدر عن هؤلاء المتصوفة ، من شعر ونثر وإشارات وإيماءات تلمس هذا كله عند المستشرقين في لغاتهم الأوربية المختلفة . وتلمس هذا كله بصفة خاصة عند ماسينيون في الفرنسية وعند نيكلسون في الانجليزية . وأنت لاشك واجد عند هذين العالمين ما تطمع فيه من بحث منظم وأسلوب علمي دقيق ، وتصوير جميل بديع لهذه الشخصيات الفذة العجيبة التي ظهرت إبان العصور المتعاقبة لتاريخ التصوف الاسلامي . وانك حين تتصفح كتاباً من كتب المستشرقين فليس من شك في أنك ستعجب بمهارتهم الفائقة في البحث وبمقدرتهم الغريبة على جمع الأخبار ولم شعث الآثار وتحقيقها على ضوء المنهج العلمي الحديث بحيث ينتهون من هذا كله الى الحقيقة الثابتة التي لا يأتيناها الشك من بين يديها ولا من خلفها . وليس من شك أيضاً في أنك ستقدر

ما بذل هؤلاء القوم من جهد ، وما تحملوا من مشقة وألم في سبيل اخراج ما أخرجوا من أبحاث منظمة وأسفار قيمة . وليس أدل على عناية المستشرقين بالحضارة الاسلامية عامة وبالتصوف خاصة من أن أحدهم وهو العالم الكبير والباحث الجليل الميسولويس ماسينيون قد قضى أعواماً طويلاً يجوب فيها البلاد الاسلامية المختلفة باحثاً عن نصوص صوفية لم يسبق نشرها ، وقد وفق فيما قصد اليه توفيقاً عظيماً كانت ثمرته هذا الكتاب القيم المسمى « مجموعة نصوص لم يسبق نشرها تتعلق بالتصوف الاسلامي » . ناهيك بأن الميسو ماسينيون قد تعرض الى بحث شخصية قوية جداً وغريبة جداً من شخصيات التصوف الاسلامي . وأعنى بها شخصية الحلاج . فكانت ثمرة بحثه هذا السفر الضخم حقاً ، الخالد حقاً ، في تحليل شخصية الحلاج ونفسيته ، والابانة عن مذهبه وعن رأى المدارس الاسلامية المختلفة فيه . وليس أدل على عناية المستشرقين أيضاً بهذه الناحية القيمة الممتعة من انهم قد عمدوا الى ما أنتج المتصوفة من مؤلفات فوسعوها درسا وتحليلاً . وما هي الا أن تناولوها بالترجمة الى لغاتهم وشرحوها وعلقوها عليها . وما هي الا أن طبعوها وأذاعوها في الناس . وما هي الا أن قرئت هذه المؤلفات وفهمت ونوقشت . وانتهى هذا كله الى أن اختلف المستشرقون حول هذه الكتب ففهم من تعصب لها ومنهم من تعصب عليها ومنهم من رأى فيها رأياً غير الذي يراه غيره . ومن هنا كثرت المؤلفات الأوربية في التصوف . على حين أنك اذا أردت أن تعثر على كتاب في العربية يعطيك صورة واضحة جلية لنشأة التصوف وتطوره في الاسلام فانك لن توفق الى بغيتك . ذلك لأن الشباب المثقف عندنا قد ضاق صدره بكتب التصوف القديمة كما ضاق بغير كتب التصوف من الآثار الاسلامية وغير الاسلامية ، فأنت اذا طلبت الى شاب مصري مثقف أن يطالع كتاباً عربياً قديماً في التصوف فمن المؤكد أنه لا يكاد يقرأ منه فصلاً . استغفر الله - بل أنه لا يكاد يقرأ منه صفحة أو صفحتين حتى تضيق نفسه ، ويخرج صدره ، ويستولى عليه الملل والسأم ، فيلقى بالكتاب القاء على أن لا يعود اليه مرة أخرى . ولعل عذره في ذلك هو ان ما تكلفه قراءته وما تحمله مشقة مطالعته انما هو كتاب مختلط مضطرب لم ترتب أبوابه . ثم هو ضخيم طويل ان عرف أوله فقد لا يعرف آخره . وأكبر الظن أن شبابنا حين ينظر الى الآثار الاسلامية هذه النظرة التي هي أقرب الى الازدراء منها الى أى شئ آخر . أقول ان شبابنا مسرف على نفسه وعلى الحضارة الاسلامية . مسىء الى نفسه والى الحضارة الاسلامية . ولو قد تجمل

بالصبر على ما يقرأ وتضرع بالثبات امام ما يقرأ . واستعان بالفهم المستقيم لما يقرأ . لانه انتهى منه الى ما يشبع رغبته ويرضى حاجته العقلية والشعورية . واذن فما أجدر شبابنا المثقف أن يعمد الى هذه النواحي المهمة من تراثنا المجيد فيتناولها بحثاً وتحليلاً ، وتفسيراً وتأويلاً ، بحيث يخضعها لمناهج البحث الحديث فهى كفيلة بأن تكشف له عن وجه الحق فيما يقرأ ، وهى كفيلة بأن تشعره بما فى قراءته من لذة قوية ومتاع خصب .

وأحب أن أحدثك فى سلسلة من الفصول عن التصوف الاسلامى . فأتناول فى بعضها الحديث عن بعض المؤلفات الصوفية التى أودعها أصحابها مسائل التصوف ونظرياتة . وأتناول فى بعضها الآخر تحليل بعض الشخصيات القوية التى ظهرت فى تاريخ التصوف الاسلامى فكان لها أكبر خطر وأعظم أثر . وبهذا أكون قد قمت بجزء من الواجب على كل شاب مصرى مثقف أن يقوم به نحو هذا التراث الاسلامى المجيد . وأحب بعد هذا كله أن أتناول فى هذا الفصل كتابين عنى بهما المستشرقون فترجوها الى لغاتهما ، وذلك لأن هذين الكتابين يعدان من أهم الكتب التى تظهرنا على المسائل الصوفية ، والاشارات الباطنية ، وما ينسب الى المتصوفة من أقوال فى هذه الاشارات وهذه المسائل . هذان الكتابان أحدهما « كشف المحجوب » للهجویری .

والثانى « عوارف المعارف » للسهروردی

٢ - أما مؤلف « كشف المحجوب » فكان معاصراً للقشیری الصوفى الفارسى الذى عاش بنيسابور وتوفى عام ٤٦٥ هـ (١٠٧٢م) والذى يعرف بمؤلفه المشهور « الرسالة القشيرية » . ولم تكن لكشف المحجوب هذه الروح النقدية المؤسسة على قواعد علمية راسخة ، فهو كتاب من هذه الكتب التى يمتاز مؤلفوها بالقدرة على جمع المسائل الصوفية وأخبار المتصوفة ، ووضعها فى أقسام وأبواب . هذا فضلاً عن أن هذا الكتاب قلباً يذكر فيه شئ عن تواريخ الأشخاص الذين يتحدث عنهم . ولعل أكثر ما يذكر لك عن الشخص الذى يعرض له قولاً أو قولين من هذه الاقوال التى تنسب اليه . وانه ليكتفى بهذا القول أو بهذين القولين فيعمد اليهما بالشرح والتفسير ولكنه شرح غامض وتفسير مبهم . ومن الحق كل الحق ألا يثق الباحث المدقق ثقة تامة بكل ما ينسب الى المتصوفة من أقوال وما ينسب حولهم من قصص كتلك التى يذكرها الهجویری فى كتابه . وانما هو مضطر على العكس الى ان يخضع هذه الاخبار وهذه القصص وهذه الاقوال الى البحث العلمى الصحيح فينكر بعضها حين يلزم الانكار ويشك فى بعضها الآخر حين يجب الشك . ويرجح طائفة منها اذا كانت هناك حاجة الى الترجيح ويؤكد طائفة أخرى حين لا يجد الشك

سبيلاً الى ما يؤكد بحيث ينتهى من هذا كله الى الحقيقة الثابتة الراسخة التى لا تقبل شكاً ولا تحتمل جدلاً . واذا كنا نلجس فى تضاعيف المؤلفات الصوفية امورا من شأنها ان تحملنا على التفكير وتدعونا الى الشك فلا بد لنا من أن نقف من هذه المؤلفات موقفاً ان لم يكن موقف المتشكك المرتاب ، فلا أقل من أن يكون موقف المحقق المدقق الذى لا يغنى من وراء تحقيقه وتدقيقه الا وجه الحقيقة خالصاً صافياً لا تشوبه شائبة . ولعل الهجویری نفسه قد قدم لنا مثلاً من شأنه أن يحملنا على الشك فى صحة بعض ما يذكر فى كتب التصوف القديمة . فهو حين يتحدث عن الخلووى يقول : « هو مترجم الاولياء المعروف ولكن يفسر المذاهب الصوفية الاساسية فقد نسب الى شخصيات عديدة قصصاً الفها هو » . ومهما يكن من شئ . فذلك مسألة نتركها الآن لعرض الى تلخيص الكتاب الذى نحن بصددده .

يرجع الهجویری بداية التصوف الى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، كما يذكر تحت اسم (أهل الصفا) فريقاً من الصحابة الذين وفقوا حياتهم على التضحية وكانت معيشتهم اقرب الى الاعراض عن الدنيا والزهد فيها ، منها الى الأقبال عليها والميل اليها . ولعل أشهر هؤلاء الصحابة رجلاً : أحدهما بلال الحبشى والآخر سلمان الفارسى .

أما فى الجيل الأول من التابعين فاقوى الشخصيات التى ظهرت وذكرها الهجویری شخصية الحسن البصرى . وليس ثمة شك فيما لهذه الشخصية من أثر قوى وخطر عظيم فى تاريخ الحضارة الاسلامية . فاسم الحسن البصرى يذكر على رأس دراسات اسلامية متعددة . فهو يذكر فى دراسة القرآن والنحو وعلم الكلام وغير ذلك من فروع الثقافة الاسلامية المتنوعة .

ويذكر مؤلف « كشف المحجوب » بعد جيل الحسن البصرى أربعة وستين صوفياً أخذ يعددهم حتى دنا من العصر الذى كان يعيش فيه . وانك تراه يذكر فيمن يذكر من هؤلاء المتصوفة أبا حنيفة وابن حنبل وداود الطائى . أما الصوفيون الحقيقيون ، وبعبارة أدق المتخصصون - فمن بين الذين يذكرهم ذوالنون المصرى وابن أدهم والسطامى . وهذه الأسماء الثلاثة كثيراً ما يتردد ذكرها فى المؤلفات الصوفية نظراً لما لها من قيمة ولما لعبت من أدوار فى تاريخ التصوف الاسلامى . ويذكر الهجویری بعد هؤلاء عشرة من المتصوفة المعاصرين له أشهرهم القشیری . ثم فريقاً كان لا يزال حياً وقتئذ فى الأنحاء المختلفة لبلاد الفرس .

ويأتى بعد هذا كله فصل طويل عن احدى عشرة طائفة صوفية وقد جعل لكل طائفة مقالا خاصا تناول فيه ناحية معينة من مذهبها . ويرى السواد الأعظم أن الخلاف الذى شب بين هذه

هذا الكتاب في مؤلفه عن الغزالي ثم أعاد الحديث عنه مرة أخرى في كتابه «مفكرى الاسلام». فهذا كله يظهر على ما للكتاب من خطر وما فيه من غناء.

أما مؤلف الكتاب فهو شهاب الدين السهر وردي أحد أعقاب أبي بكر رضى الله عنه. كان تلميذا لعمه أبي النجيب وللصوفي المعروف عبد القادر الجيل. وكان شيخا لمشايخ بغداد. التف حوله عدد ضخم من المتصوفة والزهاد. وله غير مؤلفه الذي نحن بصدد طائفة لأبأس بها من الأشعار. مات في بغداد سنة ٦٣٢ هـ.

وأبو النجيب عم المؤلف الذي أشرنا اليه آنفا صوفي أيضا. أورد شهاب الدين ذكره كثيرا في كتابه فهو يبدأ كل أبواب هذا الكتاب أو جملها بهذه العبارة: «حدثنا شيخنا شيخ الاسلام» يعنى عمه. وقد كتب عنه ياقوت في معجمه مقالا بديعا اعتبره فيه أذكى أبناء سهر ورد. سافر في شبابه إلى بغداد حيث درس الشريعة والفقه. ثم إلى أصفهان. وكان يعمل كسقاء ولم يكن يعيش إلا من عرق جبينه. وبعد أسفاره هذه عاد إلى بغداد حيث كان يلقي تلاميذه الذين درسوا عليه الشريعة وحيث تولى رئاسة النظامية. ثم قصد بعد هذا إلى دمشق سنة ٥٥٨ هـ حيث أولاه نور الدين الزنجاني شرفا كبيرا. وهناك أسس طائفة من الصوفية. ويعقب ياقوت على كلامه عن أبي النجيب بقوله: أن ابن أخيه مؤلف عوارف المعارف كان من أبرز شخصيات عصره لما له من مواهب. ولما كان عليه من صلاح وتقوى. أجله الخليفة الناصر وخلع عليه لقب شيخ مشايخ بغداد. ولهذا الخليفة ألف شهاب الدين السهر وردي كتابه عوارف المعارف. ويقول عنه ابن خلكان في وفيات الأعيان أنه كان فقيها شافعي المذهب تخرج عليه خلق كثير من الصوفية في المجاهدة والخلوة وصحب عمه أبا النجيب والشيخ أبا محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيل. ولد بسهر ورد في أواخر رجب سنة ٥٣٩ هـ وتوفي في المحرم سنة ٦٣٢ هـ.

هذه ترجمة موجزة لحياة مؤلف عوارف المعارف. أما الكتاب نفسه فقد بلغ من الخصوبة والطول بحيث أنه وضع في أكثر من ستين بابا. ولا بد لنا من وقفات عند أهم هذه الأبواب التي بسط فيها المؤلف منشأ علوم الصوفية، وآدابهم وأخلاقهم وأشاراتهم وأحوالهم ومقاماتهم. فكل أولئك مسائل خليقة بالبحث، جدرة بالدرس. وهذا ما أرجو أن أعرض له منذ الفصل التالي بحيث أكون لديك صورة صادقة لهذا الكتاب تتمكنك من أن تتعرف مكانته وتقدر قيمته وتبين ما له من خطر وما فيه من غناء.

محمد مصطفى حلى
ماجستير في الآداب

الطوائف لم يكن ذا أهمية وأنه ليس الا وسيلة يستعان بها على تفسير المذاهب المختلفة، فالطائفة الاولى مثلا تذكر الرضى من بين الأحوال بدلا من أن تجعله بين المقامات. ويعقب الهجورى على هذا بمقال عن الرضى. والطائفة الأخيرة تظهرنا على رأى المتصوفة في مسألة فلسفية نفسية ذات خطر. ذلك أنها كانت تؤمن بالتناسخ. ومن هنا ترى مؤلف «كشف المحجوب» يذبل كلامه عن هذه الطائفة بمقال عن الروح. وفوق هذا كله فإن المؤلف قد بسط مذهب المتصوفة في صورة أخرى موضوعة في احد عشر فصلا مثلها في هذا العدد كمثل الفصول التي سبقتها. وأنه ليجعل عنوان كل فصل من هذه الفصول هكذا: «كشف المحجوب الأول والثاني والثالث... الى الحادى عشر» والمحجوبات هنا تقابل المسائل الجوهرية للدين الاسلامى (وحدانية الله - الايمان - الوضوء الصلاة... الخ) فكل مسألة من تلك لها تفسير صوفى. أو هي بعبارة أخرى تقابل فصلا من فصول التصوف. وانك لتلاحظ في هذا القسم حرية التفسير والتأويل التي اصطنعها المتصوفة في فهمهم للدين. فأنت ترى مثلا في صفحة (٣٠١) من الترجمة الانجليزية التي وضعها الاستاذ نيكلسون وطبعها ونشرتها لجنة احياء ذكرى جب: «الصلاة عبارة عن تعبير يجد فيه المريدون الطريق الموصل لله من البداية الى النهاية. وفيه تتكشف لهم المقامات. والطهارة للريدين هي التوبة. وأنت حين تولى وجهك نحو القبلة معناه انك تخضع نفسك للدبر الروحى. وأنت حين تصلى واقفا معناه انك تذلل نفسك. وتقابل تلاوة القرآن التأمل الباطنى. واطراق الرأس هو التواصل. والركوع والسجود هما معرفة الانسان لنفسه والتسليم هو الانفصال عن الدنيا. ويحل محل الاعتراف بالايمان الانس بالله» وآية ذلك هي أن كل حركة عملية يمكن تأويلها تأويلا صوفيا وان كل رياضة جسمية تقابلها عاطفة روحية.

٣- ولترك الآن كشف المحجوب لنقف وقفة قصيرة عند الكتاب الثانى الذى أريد أن أحدثك عنه وأعنى به «عوارف المعارف» ويمتاز هذا الكتاب بأنه أكثر تقسيما وأوفر تنظيما من سابقه. ثم هو أقدر على اظهارنا على منشأ العلوم الصوفية والابانة عن آداب المتصوفة ومذاهبهم وأخبارهم وأقوالهم بحيث يمكن اعتباره كتاباً تعليمياً بكل معانى الكلمة. وليس أدل على قيمة هذا الكتاب من أن ويلبرفورس كلارك قد ترجمه. ومن أن بعض المستشرقين ينظر اليه كأنه تحفة أدبية لها قيمتها بين الاسفار العربية الكلاسيكية التي تسودها روح المنطق وسيطر عليها أسلوب البحث والاستقصاء. ومن أن البارون كارا دى فو قد تكلم عن

الزينة

عند قدماء المصريين

أناقة الرجال — الزى والحلقة والحلى — زينة النساء — الثياب — الأصابع — العطور

للأستاذ حسن صبحي

« تلبس ثيابا من الكتان الناعم
وتركب الخيل وتحمل لها السوط الذهبي في يدك
لك سرج جديد شغلته ايدى الشوام
وتجرى أمامك العبيد يصدعون بما يؤمرون
يدهن جسمك كبير معطريك بطيب الكيمى
وفك مليء بالنبيذ والخير
..... الخ »

« من قصيدة تحية المعلم من الشعر المصرى القديم »

يا لها من أناقة وفخامة ! ثياب من كتان ناعم ! وسوط الركوب
موشى بالذهب ! وسرج جديد من صنع أهل الشام ! وعبيد سياس
يجرون امام السيد المعلم يفسحون له الطريق ويصدعون لما يأمرهم
به ! وعطور وطيب يدهن به جسمه !
وأية أناقة تعدل هذه الأناقة ! وأين هاتيك الأناقة الرائعة ،
والفخامة فى الثياب وفى المركب وفى الخصاصة بما نحن عليه الآن ،
وبما نظنه . انتهى ما وصلت اليه مدينة القرن العشرين بعد الميلاد !
لسنا نحن الذين نصف ازياء المصريين فتهم بالتحيز لأجدادنا ،
بل هم المصريون أنفسهم يتحدثون عن أزيائهم فى هذا الشعر القديم ،
ولا يتركون لمتشكك فرصة ما فى ان يظن بهم غير ما يصفون ،
فيخلفون فى قبورهم الثياب الكتانية البيضاء الناعمة ، والحلى الذهبية
المطعمة بالجواهر والاحجار ، ويخلفون القفازات . والصنادل الجلدية
الفاخرة ، ويخلفون السروج المزركشة بالذهب والفضة ، والسيات
المقوشة الموشاة بالذهب والفضة وكرائم الاحجار ، وآنية مرمية
وأخرى رخامية تحوى عطوراً فيها السوائل وفيها الصلب وفيها
ما بينهما من معاجين ومقشطات ، ويخلفون غير هذا وذاك صوراً
على الجدران تمثلهم فى هذه الثياب الرقيقة ، وهاتيك الحلى الثمينة ،
وتلك الأناقة الرشيقة ، وتمثلهم وهم يدهنون ، وهم يعطرون ، وهم
يتزينون ! ...

أفنتطيع بعد هذا ان نتكر على القوم ما كان لهم من «تواليت»؟!
وتواليت دى لو كس ايضاً؟!

أناقة الرجال:

نظر المصريون الى الرجل من نواحي الرجولة التى تبعده كل
البعد عن المرأة ونواحي الأنوثة فيها ؛ فالرجل يجب أن تبدو منه
عضلاته دليلاً على القوة والبأس ، الم يخلق للعمل والحرب ؟ إذن :
فلترك صدره ليبرز ما عليه من الفورسبس (عضلات الصدر)
أمام الأعين ، دليلاً على قوة الرجل أو هزاله ، وليخل عن ذراعيه
من الثياب ليظهر ما فيها : بايسبس وترايسبس (عضلات الذراعين فوق
الرسغ والكتف) فيميز الناس فيه القدرة والعجز ، ولتحلى تلك
الصدر البارزة القوية بالعقود والمديلات وتلك الاذرع والمعاصم
بأساور من ذهب أو ما يشبه الذهب ، كى تستلفت العين الى ما فيها
من شدة وبأس وكمال فى النمو ، هى ما يقتزن بلفظ « الجمال » فى
الرجل ، وما يميز جمال الرجل عن جمال المرأة .

هذا الجمال فى النمو وفى الشكل توجده الطبيعة فى الأصل ،
ولكنها تكل للرجل تعهده والعناية به ، فهو لابد مستمر فى القيام
على اظهاره فى أجمل صورة له ، وهل يتم له هذا الاظهار الا بمداومة
النظافة والرياضة والعناية ؟ والنظافة لم تكن بعيدة المنال على المصريين
فقد كان النيل دائماً الأب الرحيم ، يغتسلون فيه ، وفى ترعه ، وفى
مياهه يجرونها فى قنوات الى بيوتهم ، ونقرأ فى قصصهم عن احواض
الاستحمام التى كانت تبني فى القصور ، كما نقرأ عن ضرورة الاغتسال
قبل الصلاة ، وضرورتها لرفع الحدث الأكبر ، أى انها جعلت
ركناً من أركان دينهم ، كما ينص الاسلام على ضرورة الوضوء
والاغتسال قبل الصلاة وبعد الحدين

واذا عرفت ان المصرى القديم لم يكن يأكل ولا يشرب ولا ينام
ولا يعمل الا بعد ان يؤدى صلاته للآله ، وعرفت ان الدين كان فى
دم المصرى القديم الى حد ان أفقر الناس كان يبني دار ديناه من
طين ، بينما يبني لنفسه فى حياته قبراً من أغلى الاحجار التى يستطيع
شراؤها ، ويسمى هذا القبر : (البيت الأبدى) بينما يدعو مسكنه
الدينوى (بيت الاختبار) ؛ اذا عرفت هذا كله ادر كنت مبلغ تدخل
الدين فى كل شئ ، ومكان النظافة الشخصية من نفس كل مصرى
تبعاً لعقيدته .

الحلقة

والنظافة عند المصرى القديم ليست الاغتسال بالماء فقط ، اذ
نرى من صورهم الكثيرة جداً ، انهم كانوا يقصون شعور رؤوسهم ،
ويقصرونها لتميز رؤوسهم عن رؤوس النساء ، ثم كانوا حلقى
الوجوه ، لا لحى ولا شوارب ، ولم يكونوا يكتفون بقصها أو

الصورة بعد مضي خمسة آلاف عام على هذه الأناقة وعلى هذا التواليت ١٩

زبرجة النساء

لم تكن المرأة المصرية القديمة محجة ، ولم تكن للرجل مجرد متعة ، إذ كانت تشاطره العمل في الملك ، وفي الكهانة ، وفي الحقل ، وتقوم بنصيها في البيت أيضا . تربي أطفالها ، وتجهز بيتها ، وتطهى طعام أسرتها ، وتحيك ثياب زوجها وصغارها ونفسها وكل هذا يضعنا وضعا صحيحا أمام حالة المرأة المصرية كي نفهم على أى أساس كانت تقوم المرأة بعمل تواليتها في مصر .

كانت المصرية (ربة بيت) فتوها يجب أن يكون طويلا يستر ذراعيها وصدرها وكعها ، لكنه كان أنيقا ليجارى أناقة رجلها ، فهو إذن ثوب يجمع بين الحشمة والأناقة ، يسر انوثتها المغربية ، ويبرز انوثتها الطبيعية غير المثيرة . ثوب طويل ضيق ذو ثنيات (بليسيه) يكون في معظم الأحوال أبيض ناصعا تتجلى فيه نظافتها وأناقته ، يسدل عليه في بعض الأحيان ثوب شبكي من خيوط ذهبية أو فضية ، ويتدلى فوق هذا الثوب شعرها الأسود الفحشى الطويل ، مصفوفا منسقا في صفائر ملتوية ، هي آية في الإعجاز والأناقة إذا قيس بتنسيق الشعر في العصر الحاضر .

ولم يكن السمن من سمات الجمال المصرى ، فقد حرص المصريون القدماء على تصوير نسائهن في نحافة ورشاقة كأمشة ونماذج للجمال النسوى ، وامتدحوا نحافة السيقان في اشعارهم وغزلهم ، إذ يقول الملك خوفو لكبير أمثائه حين أراد الزهه في قارب :

« هيا احضر عشرين فتاة نحيفات السيقان والاذرع ، ناهدات الصدور ، لم يخلق مثلهن من قبل » (من قصة الملك خوفو والسحرة : قصص البردى) .

العطور

لم يكن نصيب هذا الجسم المستور الجمال ، من العناية والتواليت بأقل من نصيب جسم الرجل ، فالتنا نقرأ في النصوص : ان المرأة كانت تظلي جسمها بالعطور والأدهان لتصقله ولجعلها براقا ناعما تحت ثيابها ، ونرى في الصور فوق شعر المرأة قطعة من الدهن العطري الأبيض ، ينجل دهنها فوق الشعر شيئا فشيئا كي يحفظ له طراوته ولمعانه ، وفي وصف المرأة في نصوص المصريين كثير يدل على طيب اريج ثيابها وجسمها

قطعها ، ولكنهم كانوا يحلقونها بالأمواس لتكون وجوههم نظيفة خالية المسام ، يميزهم عن غيرهم من الشعوب التي كانت ترخى ذقونها وشواربها كشعب فلسطين وشعب ليبيا وغير هؤلاء ممن ظهرت صورهم على الآثار بلحى وشوارب سوداء طويلة .

وقد يعجب القارىء إذ يعلم ان المصريين عرفوا أمواس الحلاقة منذ خمسة آلاف عام ، لكنها حقيقة خلفوا آثارها لنا ، إذ يحوى المتحف المصرى طائفة كبيرة من هذه الأمواس مصنوعة صناعة متقنة من شظايا الجرانيت والاردوز والبازلت الصلبة التي تتحمل الترقيق والتشجيد ، وتقاوم استمرار استعمالها في الحلاقة .

وإذ نمر بالاغتسال بالحلاقة بعد الزى ، وهى أوليات التواليت ، فالتنا نصل الى أقصى مراتب التواليت ، وهى ماسميته من قبل « تواليت دى لو كس » .

التواليت العالى

لم يكن للرجل العادى نصيب في التواليت العالى ، الذى لم يكن يعرفه غير أفراد الطبقة الممتازة . من الملوك والكهنة والوزراء والكتاب والأعيان .

هؤلاء كانوا يستمدون من ثروتهم وسلطانهم ما يستطيعون أن يقتنوا به العطور والأدهان يطلون بها أجسامهم كي تطيب رائحتها وينعم جلدها وتبرق بشرتها ، فيبدو كل ما فيها من جمال الرجولة وأناقته . وكانوا يلبسون في أيديهم القفازات ، لا يتقون بها البرد ، وصدورهم وظهورهم عارية ، ولكن ليقبضوا بها على الأقواس ويشدون بها حين يطلقون منها السهام ، وبكمولون بها زيتهم وأناقته . ثم يضعون في أفدامهم صنادل أنيقة من الجلد الموشى بالخيوط الذهبية ، مبالغة في الأناقة والرفاهية .

هذه صورة حقيقية للرجل المصرى من الطبقة الممتازة :

رجل كامل النمو فى جميع أجزاء جسمه ، لا يستر منه غير عورته ، بسرور قصير من الوسط الى الركبتين مصنوع من الكتان الأبيض المثنى (بليسيه) ، يلبس فوق صدره عقودا وخرزا وفى معصميه أساور من ذهب ، حليق الوجه منسق شعر الرأس قصيره ، لا يضع على رأسه شيئا ، يلبس قفازا من الجلد وصندلا من الجلد ، ويمسك بيده سوطا من الجلد موشى بالذهب يسوق به فرسا يمتطيه ، ونحوه مظاهر الفخامة والأناقة والرجولة !

هل منكم من يعطينى صورة أكمل لأناقة الرجولة من هذه

حي بن يقظان

لمحة عن النظريات والمذاهب الفلسفية التي توحىها مطالعة الكتاب

لكتاب حي بن يقظان مقام جليل في تاريخ الفلسفة العربية، سجل لصاحبه شهرة واسعة في القرون الماضية لاسيما في بدء نهضة الافرنج. ولانزال نذكر الى الآن مؤلفه ابن الطفيل كلما طالعنا كتاب «روبنسن كروزو» لديفو الانجائزي، فنحن وان كنا بغير حاجة في هذا العصر الى ما في هذه القصة من نظريات عقلية أو مذاهب عملية نرتب عليها أعمالنا في الحياة، لانزال نحفظ لمؤلفها فضل الاسيكية في مثل هذا الفن القصصي الفلسفي، ونريد أن نذكرها كلما اتينا على ذكر ديفو وبطل قصته روبنسن كروزو. ولست أريد من ذلك أن قصته روبنسن هي ككتاب حي بن يقظان قلباً وقالباً ولكن أريد أن اشير الى شبه في الفكرة ومجاسة في الفن القصصي.

ولنتنقل بعد هذه الكلمة الى ما نحن بصدد من استخراج النظريات والمذاهب الفلسفية من قصة حي بن يقظان لتبين قيمة هذا التراث الفلسفي الخيالي في أدبنا العربي

لا نريد أن نقول - قبل أن نأتي على تلخيص القصة - أن ابن الطفيل قد ضمنها زبدة التعاليم الفلسفية العربية، والمذاهب العملية وصاغها في قالب خيالي جذاب تستشف من ورائه شخصية الفيلسوف الوادعة، وفكرته الخاصة التي تنهك سراعاً للخير، فكان بذلك سابقاً لديفو واضرا به من الافرنج القصصيين:

فأول ما يستلفت نظرك أيها القارئ الكريم من هذا الكتاب هو عنوانه الرمزي الغريب: حي بن يقظان. فمن هو هذا «حي»؟ وابن من؟ ابن يقظان... هذا الاسم رمزي في مدلوله وهو في عرفهم ابن من لا ينام أي الله عز وجل

وتفتح الكتاب فإذا هناك مقدمة وجيزة في نقد الفلاسفة الاسلاميين، ونظرة سريعة في الحكمة الشرقية سيشرحها لك مفصلاً عند الحديث على بطله حي

كل الكتاب نظريات وثبت للمذاهب الفلسفية، فأول ما نتاجا به أيها القارئ هي هذه النظرية، نظرية التولد من غير أم وأب، فيدهشك هذا القول من فيلسوف إسلامي ويغضبك خصوصاً اذا كنت من اصحاب الايمان الحار، ويأخذ بك ابن الطفيل في منعرج هذا المذهب الوعر الذي يصعب علينا حله واتباعه، ويستطرد في كيفية تخير الطينة تحت اشعة الشمس وعلوق الروح بها، فلذلك الاستطرد ولا يعجبك الاعتقاد، والحق يقال أن هذا المذهب

لم يكن يياض البشرة في مصر القديمة يعتبر جمالا، ذلك أن شمس مصر اللافتة تخرج ذلك اللون الخمرى البديع، الذي يجعل من بشرة المصريين خلاصة وظرفاً لاتصل اليه البشرات الاوربية البيضاء الناصعة، اذن فقد كانت النسوة المبيضات اللون تسعى الى الوصول للبشرى الأعلى في جمال البشرة، فيعمدن الى الحناء وهي من النبات المصرى الاصيل فيصبغن بها أجسامهن ووجوههن لتصبح لهن تلك البشرة النحاسية الخمرية الظرفية.

وهذا ما يطابق تمام المطابقة الغرض الذي استعملت فيه «البودرة»، الاوربية. اليس منشأ البودرة هو الحصول على يياض يقترب من يياض المثل الأعلى للجمال الاوربي؟

والأحمر؟ فيم تحتاجه المرأة الخمرية اللون؟ المحمرة البشرة بطبيعتها؟ ثم أي جمال تشاهده الآن في تلك الشفاه الحمراء في لون (الطاطم) بين خدود خمرية وشعر أسود في لون الفم؟ إنها تبعث في العين تنافراً قل أن يرضى أحداً.

لهذا لم يعرفه المصريون في زينتهم مع معرفتهم لونه ومسحوقه في تلوين الجدران البيضاء، وفي التصوبر على الفخار، وفي الكتابة على البردى....

لكنهم عرفوا (الكحل) ووضعوه في عيونهم، وجعلوا منه الوانا متباينة بين الاسود الفخمى والأخضر القاتم، والازرق الداكن، والعسلى الغميق، وكلها لتطابق الوان الشعر والعيون والاهدا ب، وتمشى مع تناسق ألوان هذه الاجزاء في الجسم.

واليك صورة جميلة للمرأة المصرية القديمة:

«امرأة رشيقة في ثوب رقيق ناعم من الكتان ذي ثنيات طويلة يستر كل جسمها ويدل على مواضع الجمال الطبيعي فيه، ذات وجه خمرى يبدو فوق هذا الثوب الانيق بجماله الطبيعي، خفيفة حمرة الشفاه، بياض الاسنان، سوداء العينين مكحولتهما بكحل يطابق لونه لون حبة عينا، مرسله الشعر الاسود في صفائر على كتفها، يتشعريجه وطيه وعطوره، وتضع في قدمها صندلاً رقيقاً يزيدها رشاقة وأناقة...»

هذه هي مثل الاناقة المصرية، والتواليث المصرية منذ خمسة الاف عام؟

الطبيعي الذي يبني مبدا الخلق والتكوين على الصدف والتصادف والذي يعتنقه الكثيرون في عصرنا - وما اكثر المذاهب والآراء في هذا العصر - غير مبني على أساس متين ولا براهين جلية بحيث تقلع من صدرك الايمان بصحته . فالمذاهب الفلسفية ، الاقوال فيها كثيرة ومختلفة ، وليس هناك دستور واحد في البحث تمشي عليه ، وحقيقة واحدة تنفق عليها . ففي المسألة الواحدة تجد قولين أو ثلاثة أو أربعة ، والانسان عندما يكون متردداً في مسألة ما ، تكثر تعاليله وحذسياته . فابن الطفيل مثلاً لا يجزم بصحة هذا المبدأ الطبيعي كما هي عادته ، فيأتيك بقول آخر أعم وأشهر ، ولكنه ليس بنظرية بل تحليل ثانوي لكيفية وجود حي بن يقظان في جزيرة من جزائر الهند تحت خط الاستواء ، فقد اختلفوا في وجود هذا الشخص في هذه الجزيرة المنقطعة عن السكان المقفرة من بني الانسان . فيقولون ان حياً كان ابناً غير شرعي وان أمه أخت ملك قد وضعت في صندوق وقذفت به في اليم ، فقاده المجرى المائي الى هذه الجزيرة «الاستوائية» وهذا القول اقرب واخف وطأة على القاريء من الأول ، اذ يعرف ان موسى أيضاً قد قذف به في اليم* ، ولديه على ذلك نص وهو القرآن قد فرغنا من استخراج هذه النظرية وسللناها من طيات هذا السفر الجليل ، فاتبعني أيها القاريء الكريم لنستطلع بعد ذلك خبر ما آلت اليه حال هذا الطفل البائس الذي سيكون له فيما بعد شأن يذكر .

رمت به الأمواج الى شاطئ جزيرة تحت خط الاستواء ، وكم يكون جزعك على هذا الطفل عند ما تعلم ان هذه الجزيرة خالية من السكان . ترى من يغذى هذا الطفل ، ومن يشفق عليه ويشمله بحنانه ، اذ لا انسان يعطف عليه ويحسن رعايته ويوفر له أسباب الحياة ؛ ولكن كم يكون فرحك عظيماً عند ما ترى أن ظبية من بني الحيوان قد رثمت به ، ووجدت فيه تسلياً وعوضاً عن ابنها المفقود ، فغدنت تغذيه بلبانها وتشمله بحنانها ، حتى درج وأصبح قادراً على المشي والعدو مع أمه في البرية ، وما ان صار على رأس أسبوع من عمره أي سبع سنين ، حتى صار يرافق أمه في غزواتها ، يناشدها بأنغامها وتناشده ، فاذا سمع تغريدة عندليب حاول تقليده ، واذا سمع فحيح أفعى أو زئير أسد لم يحاول الابتعاد ولم يوجس خيفة ، وتكررت هذه الأصوات على سمعه فوعاها ، وغدا يرددها فيجيدها . وهنا أيها القاريء الكريم تعرض لنا نظرية غامضة ولكنها جميلة ومشوقة ، فلنتد في درسها وتحليلها قليلاً . النظرية هي نظرية النطق والكلام . أخلق الانسان متكلاً لغة أجاد فهمها منذ البدء أم علمه الله اياها ؟ واذا كان ذلك فلماذا لم تتفق البشر عليها ؟ وما تحليل كثرة اللغات واللهجات التي نسمعها وما هو علة هذا الاختلاف ؟

كل ذلك - أظن - جدير باسترعاء خاطرك وانتباهك ، وهو يوقظ في نفسك حب الاطلاع والتعليل ، وتريد أن تفكر وان تجد تحليلاً فلا تجد ، فيؤول بك التفكير الى حدى بحدس . وتحمين بتخمين لا طائل تحتها ولا جدوى . فابن الطفيل لا يبدى لنا الا قولاً واحداً في كيفية نشوء اللغة عند الانسان وهو ليس من أرباب الوحي والالهام الذين يقولون ان الله أوحى الى الانسان أن يتكلم فتكلم ، وهو ليس من الذين يقولون ان الله خلق الكلام وخلق في الانسان المقدرة والقوة على نطقه . كلا ليس ابن الطفيل في شيء من هذا ، وهو على مذهب البعض من المحدثين في القرن التاسع عشر ؛ فهو لا يعلمون نشوء اللغة أى النطق بأن الانسان في طوره الهمجي طور الغريزة الحيوانية يتلقى أصوات الحيوان ويقلدها في جرسها ونغمتها ، ويضعون لذلك مقاطع طبيعية دازت على ألسنة البشر أجمع في طور وحشيتهم ، توجد في جميع اللغات الحية وهي إدا ، آر ، آد ... وما أشبه ذلك على أن الاختلاف الذي نراه ناتج عن سنن التباعد والتقارب في أخلاق البشر وأماهم الطبيعية .

فانت ترى ان ابن الطفيل من هذا الرأي وان « حياً » قد الحيوانات في أصواتها ولم يجد التكلم في بدء أمره بدليل ان ابن الطفيل يتبع لبطله حتى مصادقة اسأل فيعلمه الكلام وأمور الدين . حياة حتى هي اذن نفس حياة البشر في طور وحشيتهم وهمجيتهم . ولكن ابن الطفيل لا يقف عند هذا الحد ، ولا يريد أن يسرح بطله مع الحيوانات بل يرقى به الى مستوى فكري سام تقصر عنه المدارك ، ويريه أشياء لم تقع على سمع أحد « ولا خطرت على قلب بشر » . فانه بعد أن يعلمه الأصوات يريد أن يعلمه الطب كما تعلمه كلية الطب في بيروت لتلاميذها ، وان يطلعها على علم التشريح وما فيه من سر دفين . وماتت الظبية أمه ، وقعد للبقاء عليها ولزم الحزن أياماً ينادها فلا تعى ولا تجيب ، ويندبها فلا تأبه لتحرقه وبكائه ، وأراد أن يعرف موطن الآفة في جسد أمه محاولاً انقاذها بما هي فيه ، وبطريق النظر والاستدلال يفتح جوفها ويتوصل الى القلب المركز الرئيس لجميع الأعضاء ، ومنه الى الدماغ فلم يجد بها آفة ، حتى اذا ما انتهى من البحث والاستقصاء اتى على علم التشريح بكامله ، ونحصل له من ذلك : ان ما يحرك الجسد انما هو بخار يتولد في التجويفات القلبية فيصعد منها الى الدماغ ، وهذا بدوره يحرك الأعضاء . وهذا ما قال به ديكارت معبراً عن هذا البخار بالآرواح الحيوانية Esprits animaux .

قد يدعشك مثل هذا البحث المنظم الذي يقوده حي بن يقظان ، وهذا الاستدلال الثاقب ، ويضؤل في نفسك شخص ابن الطفيل

القصصى ليتجسم لك فى شخص حى الطيب الحاذق والمشرح اللبق؛ والحق يقال أن ابن الطفيل بعد أن يرتفع بخياله يكبو به جواد هذا الخيال ليحطه الى الارض. لذلك كان الفيلسوف الطيب، ولم يكن الفنان القصصى بالمعنى الواسع لهذه الكلمة. فن الغريب أن يكون حى قد استكشف مثل هذه النظريات والتطبيقات العملية فى مثل هذه المدة الوجيزة، فانا نرى فكراً سامياً يتوصل بمحض فكره الى الحقيقة، لا فكراً وحشياً غريزياً يلىق بمثل حى؛ ولكن هى قصة أقرب الى: «الأتويا» منها الى الحقيقة الملموسة. ولا نجزم بأنها نظرية، ولا نريد أن نناقشها بل نترك ابن الطفيل وتلميذه يعلمه ما يشاء وكيف يشاء، على أننا نستشف من خلال البحث عن كيفية تعلم حى بن يقظان على نظرية النشوء والارتقاء فى العناصر الطبيعية وفى مدارك البشر، وكيف أنها تنتقل من الملموس الى المحسوس الى المعقول، وكيف أن الحواس اتصل بالاشياء الخارجية فتؤثر هذه فيها وتنفعل عنها فتحوّلها (أى الحواس) الى دائرة التفكير والتفهم فتصوغ ما أحست بقلب السبب والقانون.

ويفقد حى أمه ويخرج الى معترك الحياة وحيداً طريداً، فكل شئ فى قطر وجوده يستلفت نظره ويستعري انتباهه، فهو كآلة واعية — اذا كانت آلة تعى — وضعت فى مكان ما تلتقط كل ما اوحى لها من حيث القى أو أوحى. فتسجل حركات الاشياء وتنفعل عنها، وهل الانسان — كما عرفه بعض علماء النفس — الا مجموعة من المؤثرات الداخلية والخارجية تجمعت فشكّلت هذه النفس التى تعى وهذه النفس التى تفهم وتتذكر؟

ويستكشف «حى» النظريات ويستدل بمحض فكره السامى وثاقب ذهنه على وجود «واجب الوجود» وهذه النظرية هى محور الفصّة بكاملها وهى التى شغلت جميع فلاسفة الاسلام. ويستكشف «حى» مبدئين: المادة والصورة، بواسطتهما يتوصل الى اكتشاف وجود الله، فاعتبر: «أن كل حادث لا بد له من محدث» فلمس هذا المحدث فى المحسوسات فلم يعثر عليه، وانتقلت فكرته الى الأجرام السماوية ورسخ فى ذهنه أنها تعقل ذواتها، وأنها صادرة عن فلك واحد وهو الاعلى. وهنا يجب علينا أن نقف قليلاً ونشير الى هذه النظرية التى كانت شائعة عند اليونان والتى اقتبسها العرب ولا سيما ابن سينا، ووسعوا دائرتها. فانهم اعتقدوا أن الاجرام السماوية تعقل وتحيا وفيها العقل الفعال الصادر عن الله عز وجل، وأن الله يعلم ما فى السكون بواسطتها وهى أشرف الموجودات. وقديما دعواها أنصاف آلهة. وتتجاوز عن تفنيد هذه النظرية الخرافية التى تعد الى جنب المباحث الفلكية العصرية - خرافة من خرافات القدماء.

ولما عرف «حى» حقيقة نفسه وأنها غير أجسامية وبها عرف «الموجود الواجب الوجود» حدث له شوق حثيث الى معرفة الخالق عساه يراه، فشرع فى تفحص الأعمال التى تقربه إلى الله عز وجل، فوجد أن الطريقة المثلى هى: فى ترك المادة وتنقيف الروح التى هى مبدأ روحانى صادر عن الله تعالى، ولما كان يعلم أن الاجرام السماوية تعرف الله، التمس لنفسه الصلاح بالناسى بها ليتوصل اليه، وهنا يعتق حى مذهب الاتصال وترويض النفس والعزوف عن الاشياء المادية كما كان يفعل متصوفة المشرق، الا أن هناك فرقاً كبيراً بين المذهبين يجب أن تنتبه اليه أيها القارىء. ألا وهو: أن المتصوفين يصلون الى الله عز وجل عن طريق العاطفة الدينية والعلم الالهى؛ أما حى المتصوف النظرى فيتصل بالله عز وجل عن طريق البحث والنظر، ويجهل تماماً طرق الصوفية الدينية، وعلى هذا المذهب مذهب التصوف النظرى سار فلاسفة الاندلس فولدوا بذلك نزعة جديدة ضد التصوف الدينى الشرقى. على أن ابن الطفيل إن اختلف مذهباً لم يختلف عنهم نتيجة بل أدى به هذا المذهب الى القول بالفناء والحلول، ولكنه حلول معتدل مغشى بستر القصة الخيالى. فانه عند ما يفنى حى فى الذات الالهية ويوشك أن يعتقد أن ذاته لا تغاير ذات الله، وأنه هو الله. يبادر ابن الطفيل لبيد هذا الاعتقاد، ويقول على لسان بطله «حى»: ان هذه الهواجس التى عرضت له وأقنعت أنه ذات الحق، لم تكن إلا من بقايا المادة والاشياء الدنيوية. وهذه النظرية هى ما ندعوها بنظرية الشمول النظرى Sdéalisme panthéistique. ولا نريد أن نبحث فى مثل هذه النظريات الالهية بل نترك الخوض فيها إلى أولياء الله العارفين، تعالى الله عما يصفون. فان الطفيل اذا يفضل الوصول الى الله عن طريق البحث العلمى النظرى، ويمثل لنا هذه النظرية ويدافع عنها فى شخص «حى» وانه استطاع بنظره وفكره السامى اكتشاف الحق تعالى، بدليل أن ابن الطفيل يدخل فى القصة شخصاً آخر «أسال» وهو العقل المتهدى الى الله عن طريق لدين والاجتهاد، فيعجزه عن الوصول الى المقام الذى توصل اليه حى «وطلب حى مقامه الجليل فبلغه واقتدى به أسال حتى اقترب منه أو كاد» فلا ريب بعد ذلك فى أن فيلسوف الاندلس يفضل الطريق النظرية على الطريق الدينية؛ وأنه ما استطاع ان ينجو من ورطة هذا القول الذى كثيراً ما جر على آخرين التعذيب والتكيل، الا بواسطة هذا الوشاح القصصى الذى يلقى على النظريات والمذاهب الفلسفية فى رسالته النفيسة.

على أن ابن الطفيل لم يخل من اللوم، وأرباب الدين يؤخذونه على أربعة ١ - باهماله أمر النعمة وسقوط الطبيعة البشرية ٢ - بتفضيله

هـ - بلاط الشهداء

بعد ألف ومائتي عام

للاستاذ محمد عبد الله عنان

وكان الجيش الاسلامي في حال تدعو الى القلق والتوجس ، فان الشقاق كان يضطرم بين قبائل البربر التي يتألف منها معظم الجيش ، وكانت تتوق الى الانسحاب ناجية بغنائمها الكبيرة . وكان المسلمون في الواقع قد استصفوا ثروات فرنسا الجنوبية أثناء سيرهم المطفر ونهبوا جميع كنائسها وأديارها الغنية ، وأثقلوا بما لا يقدر ولا يحصى من الذخائر والغنائم والسبي فكانت هذه الاثقال النفسية تحدث الخلل في صفوفهم وتثير بينهم ضروب الخلاف . وقدر عبد الرحمن خطر هذه الغنائم على نظام الجيش واهبته وخشى مما تثيره في نفوس الجند من الحرص والانشغال وحاول عبثا ان يحملهم على ترك شيء منها ؛ ولكنه لم يشدد في ذلك خيفة التمرد . وكان المسلمون من جهة أخرى قد أنهكتهم غزوات أشهر متواصلة مذ دخلوا فرنسا ، ونقص عددهم بسبب تخلف حاميات عديدة منهم في كثير من القواعد والمدن المفتوحة . ولكن

المعرفة بالعقل على المعرفة بالآيمان . ٣ - باعتقاده أن الانسان قادر على رؤية الله عز وجل في الدنيا . ٤ - بأقواله المنتجة مذهب تأليه الكل أو الباتيسم الشمولى . وما كان أحد ليخلو من عتب أهل الدين ولومهم . ومدار القصة بكاملها هي أن معرفة الله الفلسفية أسمى من المعرفة الدينية ، وهذا مالا لاقى في سبيله ابن رشد واضرابه من التعذيب والاضطهاد ما لاقى

هذه لمحة - ربما تكون سطحية في قصة حى بن يقظان - عن النظريات والمذاهب الفلسفية التي تضمنتها ، وربما عدنا الى الموضوع في بحث آخر نفصل فيه العناصر الاجنبية في فلسفة ابن الطفيل وتعاليمه ، ونختم الآن هذا الفصل في أن: فيلسوف الاندلس قد أجاد كل الاجادة في سبك قصته الفلسفية وأسلوبه فيها جميل سهل وجذاب يقرب إلى ذهن القارئ. الاقوال الفلسفية ، ومع أن إنشاءها سهل وبسيط رائق لم نخل أحيانا من التعقيد والغموض . ونتيجة القول أن هذا الكتيب الفيس مشحون بالتعاليم الفلسفية الاسلامية ترفرف عليه روح الافلاطونية الحديثة ، ومن يطالع على هذه القصة يوافق الافرنج على حكمهم : « انها آية من آيات القصص العربية الحكيمة ومختصر فلسفة العرب . » ١ هـ

احمد المحمود

طرطوس سوريا

عبد الرحمن تأهب لقتال العدو وخوض المعركة الحاسمة بعزم وثقة وبدأ القتال في اليوم الثاني عشر أو الثالث عشر من أكتوبر سنة ٧٣٢ م (أواخر شعبان سنة ١١٤ هـ) فنشبت بين الجيشين معارك جزئية مدى سبعة أيام أو ثمانية احتفظ فيها كل بمراكزه . وفي اليوم التاسع نشبت بينهما معركة عامة فاقتتلا بشدة وتعادل حتى دخول الليل . واستأنفا القتال في اليوم التالي ، وأبدى كلاهما منتهى الشجاعة والجلد حتى بدا الاعياء على الفرنج ولاح النصر في جانب المسلمين . ولكن حدث عندئذ أن افتتح الفرنج نفرة الى معسكر الغنائم الاسلامي ، وخشى عليه من السقوط في أيديهم ، أو حدث كما تقول الرواية أن ارتفعت صيحة مجبول في المراكز الاسلامية بأن معسكر الغنائم يكاد يقع في يد العدو . فارتدت قوة كبيرة من الفرسان من قلب المعركة الى ما وراء الصفوف لحماية الغنائم . وتوالت كثير من الجند للدفاع عن غنائمهم . فذب الخلال الى صفوف المسلمين ، وعبثا حاول عبد الرحمن أن يعيد النظام وان يهدى روع الجند ، وبينما يتنقل أمام الصفوف يقودها ويجمع شتاتها ، اذ أصابه من جانب الأعداء سهم أودى بحياته ، فسقط قتيلًا من فوق جواده ، وعم الذعر والاضطراب في الجيش الاسلامي ، واشتدت وطأة الفرنج على المسلمين وكثر القتل في صفوفهم ، ولكنهم صمدوا للعدو حتى جن الليل ، وافترق الجيشان دون فصل . وكان ذلك في اليوم الحادى والعشرين من أكتوبر سنة ٧٣٢ م (أوائل رمضان سنة ١١٤ هـ) (١)

وهنا اضطرم الجدل والنزاع بين قادة الجيش الاسلامي ، واختلف الرأي وهاجت الخواطر وسرى التوجس والفرع . ورأى الزعماء أن كل أمل في النصر قد غاض فقرروا الانسحاب على الأثر . وفي الحال غادر المسلمون مراكزهم وارتدوا في جوف الليل ، وتحت جنح الظلام جنوبا ، صوب قواعدهم في سبتانيا ، تاركين أثقالهم ومعظم اسلحتهم غنما للعدو . وفي فجر الغد لاحظ كارل وحليفه أودو سكوت المعسكرات العربية فتقدموا منها بحذر واحجام فالفياها خاوية خالية الا من بعض الجرحى الذين لم يستطيعوا مرافقة الجيش المنحسب ، فذبجوا على الأثر . وخشى كارل الحديعة والكمين فاكتمى بالانسحاب العدو ولم يجرؤ على مطاردته وآثر العود بجيشه الى الشمال .

(١) تجمع معظم الروايات الفرنجية والكنسية على أن الموقعة كانت في أكتوبر سنة ٧٣٢ م . وهذا التاريخ يوافق بالهجرة شعبان سنة ١١٤ هـ بيد أن الرواية الاسلامية تختلف في تحديد هذا التاريخ ، فالبعض يقول انها كانت سنة ١١٥ هـ (ابن عبد الحكم ص ٢١٧ - الضبي في بغية المتوس رقم ١٠٢١ - ابن عذارى ج ١ ص ٢٧ ولكنه يعود فيذكر ان الموقعة كانت سنة ١١٤ هـ - ج ٢ ص ٢٨) . ولكن ابن الاثير (٥ ص ٦٤) وابن خلدون (٤ ص ١١٩) والمقرئ عن ابن حيان (ج ٣ ص ١٠٩) وج ٢ ص ٥٦) متفقون على انها كانت سنة ١١٤ هـ - ويقولون الاخير ان كانت في رمضان سنة ١١٤ هـ . وهو أصح تعيين يتفق مع الرواية القرية

الفرار خديعة يعقبها كمين من جهات أخرى فاحاطوا بالمعسكر حذرين دهشين . ولكن الغزاة قد فروا . وبعد ان اقتسم الفرنج الغنائم والاسرى فيما بينهم بنظام عادوا معتبطين الى ديارهم (١) .
وأما الرواية الإسلامية فهي ضمنية في هذا الموطن كل الضن كما أسلفنا ويمر معظم المؤرخين المسلمين على تلك الحوادث بالصمت أو الإشارة الموجزة كما سنرى غير أن المؤرخ الاسباني كوندى يقدم النبا خلاصة من أقوال الرواية الاندلسية المسلمة (٢) عن غزو فرنسا وعن موقعة تور نقلها مترجمة فيما يلي: - (يتبع)

(١) هذه هي رواية ايزيدور الباجي وهو معاصر للموقعه — راجع: Creasy: Gibbon: وكذلك: Charles the Great: ibidch VII-Holgkin: و Ch LII, ch.III فيها نقل هذه التفاصيل وتلخص

(٢) لم نقف في أى المصادر العربية التي بين أيدينا على أصل هذه الأقوال التي يقول كوندى انه اقتبسها من الرواية العربية ولم يذكر هو مصدر اقتباسه . ومن المحقق أنه نقلها عن بعض مخطوطات الاسكوريال أو الجمعيات الخاصة التي لم تتداول حتى عصرنا . ولعله نقلها على الأغلب من كتاب جذوة المقتبس للحميدى حيث يقول في مقدمته أنها انتفع به في عصر الفتح والولاة الاوائل . ولعله أيضاً نقل شيئاً منها من شذور لابن حيان وابن بشكوال ويوحنا أن الحجاري في كتابه المسهب ، قد تناول هذه الحوادث بالتفصيل حيث نقل المرقى عنه شذرة تفيد ذلك (فحج ١ ص ١٢٩) ولعل كوندى وقف على شيء منها . غير أن هذه المصادر جميعها لا توجد للاسف بين أيدينا وليست بين محتويات دار الكتب المصرية وما تزال مخطوطة في ظلمات الاسكوريال وغيره من المكاتب الاوربية . وقد يتاح لنا يوماً أن نظفر بالاطلاع عليها والانتفاع بها راجع حديث كوندى عن مصادره في مقدمه الترجمة الانكليزية (ج ١ ص ٢٣)

الصحة والقوة

وجسم عجيب وعقل يهني للنجاح

النخافة . السمنة . قصر لقامة . العادة السرية . الاضطراب
الضعف لتساكن . الإسهال . ضعف المعدة . القلب . الصد
الأعصاب . نفوس لأرجس . الخجس . ضعف الذاكرة والارادة
قلة الثقة في النفس وكل الأمراض المزمنة والعيوب الجسمية والعقلية
يمكن علاجها في المنزل علاجاً سريعاً أكيداً بتمارين خاصة .
كل شيء مشروح في

كتاب الجسم الكامل وكتاب العقل الكامل

١٠٠ صفحة بمائة نقط ١٠ مليمات طرايع برنسه للبريد
(قسمه مجاوب في الخارج) عين الكتاب بالذي تطلبه واكتب باسم

محمد فائق الجوهري

مدير معهد التربية البدنية والعقلية
١١ شارع سنجر السروي فاروق مصر

تليفون ٥٠٣٥٩

هذه هي أدق صورة لحوادث تلك الموقعة الشهيرة طبقاً لمختلف الروايات . والآن نورد ماتقوله الرواية الفرنجية الكنسية ثم الرواية الإسلامية .

أما الرواية الفرنجية الكنسية فيشوبها كثير من المبالغة والتحامل والتعصب ، وهي تصف مصائب فرنسا والنصرانية من جراء غزوة العرب في صور مثيرة محزنة ، وتفصل حوادث هذه الغزوة فتقول احداها : « لما رأى الدوق أودو أن الأمير شارل (كارل) قد هزمه وأذله وأنه لا يستطيع الانتقام اذا لم يتلق النجدة من احدى النواحي ، تحالف مع عرب أسبانيا ودعاهم الى غوثه ضد الأمير شارل وضد النصرانية . وعندئذ خرج العرب وملكهم عبدالرحمن من أسبانيا مع جميع نسايتهم وأولادهم وعددهم وأقواتهم في جموع لا تحصى ولا تقدر ، وحملوا كل ما استطاعوا من الاسلحة والذخائر كأنما عولوا على البقاء في أرض فرنسا . ثم اخترقوا مقاطعة جيونند واقتحموا مدينة بوردو وقتلوا الناس في الكنائس وخرّبوا كل البسائط وساروا حتى بواتيو . . (١)

وتقول أخرى : « ولما رأى عبد الرحمن أن السهول قد غصت بجموعه اقتحم الجبال ووطىء السهول بسيطها ووعرها ، وتوغل مشخنا في بلاد الفرنج ومحق بسيفه كل شيء ، حتى أن أودو حينما تقدم لقتاله على نهر الجارون وفر منهزماً أمامه لم يكن يعرف عدد القتلى سوى الله وحده . ثم طارد عبد الرحمن الكونت أودو ، وحينما حاول أن يهبط كنيسة تور المقدسة ويحرقها التقى بكارل أمير فرنج أوستراسيا وهو رجل حرب منذ فتوته ، وكان أودو قد بادر باخطاره وهنالكَ قضى الفريقان أسبوعاً في التأهب واصطفوا أخيراً للقتال ثم وقفت أمم الشمال كسور منيع ومنطقة من التلج لا تخترق وانحنت في العرب بحمد السيف »

« ولما ان استطاع أهل أوستراسيا (الفرنج) بقوة أطرافهم الضخمة ، وبأيديهم الحديدية التي ترسل من الصدر توأ ضرباتها القوية ان يجهزوا على جموع كبيرة من العدو ، التقوا أخيراً بالملك (عبد الرحمن) وقضوا على حياته . ثم دخل الليل ففصل الجيشان والفرنج يلوحون بسيفهم عالية احتقاراً للعدو . فلما استيقظوا في فجر الغد ورأوا خيام العرب الكثيرة كلها مصفوفة أمامهم تأهبوا للقتال معتقدين ان جموع العدو جاثمة فيها ولكنهم حينما أرسلوا طلائعهم ألقوا بجموع المسلمين قد فرت صامته تحت جنح الليل مولية شطر بلادها . على انهم خشوا ان يكون هذا

(١) هذه هي رواية القديس دني saint Denis — وردت في موسوعة بوكيه Dom Boquet: Recueil des Historiens de Gaule et de la France — III—310 ووردت في هذه الموسوعة أيضاً أقوال أخرى من الرواة الاجبار

في الأدب العربي

عكاظ والمربد

للأستاذ أحمد أمين

تتمة

وكان لكل شاعر من شعراء المربد حلقة ينشد فيها شعره وحوله الناس يسمعون منه ؛ جاء في الاغانى « وكان لرأى الابل والفرزدق وجلسائهما حلقة بأعلى المربد بالبصرة » (١) وكان الناس يخرجون كل يوم الى المربد ، يعرف كل فريق مكانه فيجلس فيه ينتظر شاعره ، فقد روى الاغانى أيضا أن جريرا بات يشرب باطية من نبيذ ويهمهم بالشعر في هجاء الفرزدق والراعى ، فإزال كذلك حتى كان السحر وقد قالها ثمانين بيتا في بنى تميم فلما ختمها بقوله :

فغض الطرف انك من تميم فلا كعبا بلغت ولا كلابا
كبر ثم أصبح حتى اذا عرف أن الناس قد جلسوا في مجالسهم بالمربد - وكان يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق دعا فادهن ولف رأسه ودعا غلامه فأسرج له حصانا وقصد مجلسهم وأنشدها فنكس الفرزدق وراعى الابل (٢)

ونرى بجانب هؤلاء الفحول أعنى جريرا والفرزدق والأخطل طائفة أخرى من كبار الرجاز يقصدون المربد وينشدون رجزه ، فالحجاج الرجاز يخرج الى المربد عليه جبة خز وعمامة خز على ناقة له قد أجاد رحلها ويقف بالمربد على الناس مجتمعين ، ويقول رجزه المشهور :

« قد جبر الدين الآله فجبر »

ويهجو ربيعة فيأتى رجل من بكر بن وائل الى أبى النجم ويستحثه على الرد عليه فيخرج أبو النجم الى المربد ويقول رجزه :

« تذكر القاب وجهلا ماذا كر »

ورؤية الرجاز ينشد رجزه :

« وقاتم الأعماق خاوى المخرق »
ويجتمع حوله فتیان من تميم فيرد عليه أبو النجم في رجزه :
« اذا اصطبحت أربعا عرفتني » (٣)
كذلك نرى ذا الرمة يقف بالمربد وعليه جماعة مجتمعة وهو قائم وعليه برد قيمته مائت دينار ؛ وينشد ودموعه تجري على لحيته :
« ما بال عينك منها الماء ينسكب » (٤)

وينشد كذلك بعض قصائده فيقف خياط فينقد شعره نقدا شديدا ويسخف بعض تشبيهاته ، فيمتنع ذو الرمة عن الذهاب الى المربد حتى يموت الخياط (٥) .
والامراء والولاة قد يتدخلون فيسكتون بعض الشعراء . وقد يهجون بعضهم على بعض خدمة لاغراض حزبية او سياسية فعبد الملك ابن مروان يأمر أبا النجم بالمفاخرة مع الفرزدق . وعباد بن حصين - وكان على أحداث البصرة - يعين جريرا على الفرزدق ويعير جريرا الدرع والفرس والسلاح (٦)

وهكذا كان المربد في العهد الأموي معهدا كبيرا أنتج أدبا غزيرا من جنس خاص . وكاد هذا الشعر يكون امتدادا للشعر الجاهلي . لاتحاد الاسباب والبواعث ، فأما الشعر الغزلي كشعر عمر بن أبى ربيعة وأمثاله فليس له كبير أثر في المربد لانه فوق النزال والمهاجاة والمفاخرة . فليس مجاله حياة المربد التي وصفناها .
المربد في العصر العباسي :

بقى المربد في العصر العباسي . ولكنه كان يؤدي غرضا آخر غير الذى كان يؤديه في العهد الأموي . ذلك أن العصبية القبلية ضعفت في العصر العباسي بهاجمة الفرس للعرب . وأحس العرب بما هم فيه جميعا من خطر من حيث هم امة لا فرق بين عدنانهم وقحطانهم ، فقوى نفوذ الفرس وغلبوا العرب على أمرهم . وبدأ الناس في المدن كالبصرة يحبون حياة اجتماعية هي أقرب الى حياة الفرس من حياة العرب ؛ وانصرف الخلفاء والامراء عن مثل النزاع الذى كان يتنازعه جرير والفرزدق والأخطل وظهرت العلوم

٣٠. انظر الاغانى ٩ ص ٧٨ وما بعدها . ٤٠. اغانى ١٦ - ١٢٣

٥٠. اغانى ١٦ - ١١٣ ٦٠. انظر الكامل للمبرد

٢٠. اغانى ٧ - ٥٠

١٠. اغانى ٧ - ٤٩

تراجم الأدب والشعر؛ وفشا اللحن بين الموالى الذين دخلوا في الاسلام؛ وأفسدوا حتى على العرب الخالصة لغتهم؛ فتحول المربد يؤدي غرضا يتفق وهذه الحياة الجديدة

أصبح المربد غرضا يقصده الشعراء لاليتهاجوا؛ ولكن ليأخذوا عن أعراب المربد الملكة الشعرية، يحتذونهم ويسيرون على منوالهم؛ فيخرج الى المربد بشار وأبو نواس وأمثالهما، ويخرج الى المربد اللغويون يأخذون اللغة عن أهله ويدرونون ما يسمعون، روى القالي في الامالى عن الأصمعي، قال: «جئت الى أنى عمرو بن العلاء فقال لي من أين أقبلت يا أصمعي؟ قال جئت من المربد؛ قال هات مامعك، فقرأت عليه ما كتبت في ألواحى؛ فمرت به ستة أحرف لم يعرفها، فخرج يعدو في الدرجة وقال: - شمرت في الغريب - أى غلبتني» (١).

والنحويون يخرجون الى المربد يستمعون من أهله ما يصح قواعدهم ويؤيد مذاهبهم، فقد اشتد الخلف بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة في النحو وتعصب كل لمذهبه؛ وكان أهم مدد لمدرسة البصرة هو المربد؛ وفي تراجم النحاة تجد كثيرا منهم من كان يذهب الى المربد يأخذ عن أهله. ويخرج الأدباء الى المربد يأخذون الأدب من جمل بليغة وشعر بليغ وأمثال وحكم، مما خلفه عرب البادية وتوارثوه عن آبائهم؛ كما فعل الجاحظ؛ يقول ياقوت: ان الجاحظ أخذ النحو عن الأصمعي واخذ الكلام عن النظام وتلقف الفصاحة من العرب شفاها بالمربد (٢).

وبذلك كان المربد مدرسة من نوع آخر تغير برناجها في العصر العباسي عن برناجها في العهد الأموي وأدت رسالة في هذا العصر تخالف رسائلها في العصر السابق

آخر الأخبار عن المربد :

في ثورة الزنج التي ظهرت في فرات البصرة والتي بدأت سنة ٢٥٥ هـ حدث قتال بالمربد بين الزنج وجيش الخليفة، فاحترق المربد؛ روى الطبري قال: يقول ابن سميان: فاني يومئذ لفي المسجد الجامع اذ ارتفعت نيران ثلاث من ثلاثة أوجه: زهران والمربد وبنى حمان في وقت واحد، كأن موقديها كانوا على ميعاد، وجل الخطب وأيقن أهل البصرة بالهلاك (٣).

١١. الامالى ٣ ص ١٨٢
٢٠. معجم الادباء ٦٠ ص ٥٦
٣٠. الطبري ٣ ص ٢٥٧ وما بعدها طبعة أوربا

المشى على أنه لم يقل شيئا في حريق المربد؛ مع أن المربد من أجل شوارعها، وسوقه من أجل أسواقها، فقال ارتجالا في آخر حريق لها: أتسمك شهود الهوى تشهد فها تستطيعون أن تجدوا فيا مريدون ناشدتكم على أنى منكم مجهد جرى نفسى صاعداً نحوكم فمن أجله احترق المربد وهاجت رياح حنيني لكم وظلت به ناركم توقد ولولا دموعي جرت لم يكن حريقكم أبداً يخمد (٤)

وبذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٤٩٩ هـ أن سيف الدولة صدقة بن مزيد تقاتل مع اسماعيل فنهبت البصرة وغنم من معه من عرب البر... ولم يسلم منهم الا المحلة المجاورة لقبر طلحة والمربد. فان العباسيين دخلوا المدرسة النظامية وامتنعوا بها وجها المربد وعمت المصيبة بأهل البلد سوى من ذكرنا (٥).

ويقول ياقوت «إن المربد كان سوقا للابل، ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس وهو الآن: (عاش ياقوت حتى سنة ٦٢٦ هـ) - بائن عن البصرة؛ بينهما نحو ثلاثة أميال، وكان ما بين ذلك كله عامرا وهو الآن خراب، فصار المربد كالبدة المفردة في وسط البرية».

ثم عفا أثر المربد، ولم نعد نجد له ذكرا ذا قيمة، وأخنى عليه الذي أخنى على عكاظ؛ ومات بموته معهدان أديبان اتصلت حياة الثانى منهما بحياة الاول فقاما نحو ستة قرون يخرجان شعرا وأدبا ونقدا كان من خير تراث العرب؟

٤٠. معجم البلدان
٥٠. الكامل لابن الاثير جزء ١٠ ص ١٥١ طبع بولاق

الثورة المربدية

خلاصة تاريخها ومكانها من النهضة القومية للبصرة
يقام في خري أبو السعود في تاريخها
كتاب يجب أن يقرأه كل مصري
لأن صورة كائنه لشعبى حوادث تاريخنا البصري الحديث
المن هو مطلب من المطالب الكبيرة بالقاهرة
ومن المكتبة العباسية براس العين بالاسكندرية
ومن مكتبة على محمد شيب بالسكة الجديدة بططا

مِنْ طَرَائِفِ الشَّعْرِ

ذَقْتَهُ مَرَّتَيْنِ

لِلْأَسَاطِيزَةِ الْخَوْرِي

فَقَدْ تَوَلَّى مُغْضَبًا وَلَمْ يُفِدْ تَضَرَّعِي
وَعِنْدَمَا أَمْسَكَتُهُ مِنْ ثَوْبِهِ صَاحَ : دَعِ
لَكِنِّي عِنْدَ انْتِبَاهِي هِيَ مِنْ مَنَامِي الْمُنْفَرَعِ
وَجَدْتُهُ بِجَانِبِي مُسْتَغْرِبًا مِنْ جَزَعِي
يَسْأَلُنِي فِي رَقَّةٍ عَنِ حُلْمِي وَأَدْمَعِي !
كَرَمَةُ ابْنِ هَانِي حَسِينِ شَوْقِي

لَيْلُ الْمَعَذَبِ

هَذَا عُبَابُ الظَّلَامِ وَاقِي يَسْحَبُ فَوْقَ الثَّرَى خُطَاهُ
أَعَشَى عَيُونَ الْوَرَى عَمَاهُ وَأَفْزَعَتْ فِي الْكَرَى رُؤَاهُ
لَيْلٌ كَلَوْنِ الْغَرَابِ دَاجٍ مُغْفَلٌ أَغْمٌ أَكْتَسَى وَقَارًا
كَانَمًا النُّورِ فِي حَشَاهُ عَنِ مُسْتَهْلٍ الصَّدِيعِ جَارًا (١)
تَحْسِبُهُ لِحْجَةً غَضُوبًا كُلُّ سَبُوحٍ بِهَا غَرِيقُ
أَوْ مَهْمَاهُ مَوْحَشًا مُرِيحًا عُمَارُهُ الدَّهْرَ لَا تُفِيقُ
يَزْفِرُ وَجَدًا بِهِ الْمَغْنَى فَيَسْتَحِيلُ الْإِسَى دُمُوعًا
وَيَسْتَحِيلُ الْعَذَابُ جَمْرًا وَالْقَلْبُ فِي كَهْفِهِ صُدُوعًا
(سُورِيَّة) حَمَصُ رَفِيقُ فَآخُورِي

حَيَاة ثَانِيَة

أَيُّ نُورٍ أَلْقَى عَلَى غَرَامِي فَاشْتَرَيْتُ الْآمَالَ بِالْآلَامِ
كَانَ ذَلِكَ الْجَسْمُ عُصْبَةً مِنْ جَرَاحٍ تَتَنَزَّى فِي هَيْكَلٍ مِنْ حَطَامِ
كَانَ ذَلِكَ الْقَلْبُ شِعْلَةً مِنْ عَذَابٍ وَشَجُونٍ وَلَوْعَةٍ وَضَرَامِ
كَانَ ذَلِكَ الطَّرْفُ مِنْهَا سَرْمَدِيًّا يَغْمُرُ الرُّوحَ بِالْدُمُوعِ الدَّوَامِ
كُنْتُ وَاللَّهِ فِي شَبَابِي شَيْخًا لَاحَ لِلنَّاسِ فِي مُسُوحِ غَلَامِ
كَانَ ذَلِكَ الشَّعْرُ غَنُوةَ الْيَأْسِ فِي الْقَلْبِ بَ وَنَايَا أَنْعَى بِهِ أَحْلَامِي
كَانَ عُمْرِي كَأَنَّهُ حُلْمٌ لِي لَعَلَّ عَلَى عَالَمِ الدُّجَى الْمُتْرَامِ

١٠٠ الصَّدِيعُ : الْفَجْرُ

أَنْتِ هِنْدُ تَشْكُو إِلَى أُمِّهَا فَسَبْحَانِ مِنْ جَمْعِ الْيَرِينِ
فَقَالَتْ لَهَا : إِنْ هَذَا الضَّحَى اتَّانِي وَقَبْلَانِي قَبْلَتَيْنِ
وَفَرًّا فَلَمَّا رَأَى الدَّجَى حَبَانِي مِنْ شَعْرِهِ خَصَلَتَيْنِ
وَمَا خَافَ يَا أُمُّ بَلْ ضَمْنِي وَأَلْقَى عَلَى مَبْسَمِي نَجْمَتَيْنِ
وَذَوَّبَ مِنْ لَوْنِهِ سَائِلًا وَكَحَلْنِي مِنْهُ فِي الْمُقْلَتَيْنِ
وَجِئْتُ إِلَى الرُّوضِ عِنْدَ الصَّبَاحِ لِأَحْجَبَ نَفْسِي عَنْ كُلِّ عَيْنِ
فَنَادَانِي الرُّوضُ يَا رَوْضَتِي وَهَمَّ لِي فَعَلَّ كَالْأَوَّلَيْنِ
فَخَبَّاتُ وَجْهِي وَلَكِنَّهُ إِلَى الصَّدْرِ يَا أُمُّ مَدَّ الْيَدَيْنِ
وَيَادِهِشِي حِينَ فَتَحْتُ عَيْنِي وَشَاهَدْتُ فِي الصَّدْرِ مَاتَتَيْنِ
وَمَا زَالَ بِي الْغَضَنُ حَتَّى انْحَنَى عَلَى قَدَمِي سَاجِدًا سَجْدَتَيْنِ
وَكَانَ عَلَى رَأْسِهِ وَرْدَتَانِ فَقَدِمَ لِي تَيْنِكَ الْوَرْدَتَيْنِ
وَخَفْتُ مِنَ الْغَضَنِ إِذْ تَمَتَّتْ بِأَذُنِي أَوْرَاقُهُ كَلَمَتَيْنِ
فَرَحْتُ إِلَى الْبَحْرِ لِلْإِبْتِرَادِ فَحَمَلْنِي وَيَحْهُ مَوْجَتَيْنِ
فَمَا سَرْتُ إِلَّا وَقَدْ ثَارَتَا بَرْدِي كَالْبَحْرِ رُجْرَاجَتَيْنِ
هُوَ الْبَحْرُ يَا أُمُّ كَمْ مِنْ قَتَى غَرِيقٌ وَكَمْ مِنْ قَتَى بَيْنَ بَيْنِ
فَهَا أَنَا أَشْكُو إِلَيْكَ الْجَمِيعَ فَبِاللَّهِ يَا أُمُّ مَاذَا تَرِينِ
فَقَالَتْ ، وَقَدْ ضَحَكْتَ أُمُّهَا وَمَاسَتْ مِنَ الْعُجْبِ فِي بُرْدَتَيْنِ
عَرَفْتَهُمْ وَاحِدًا وَاحِدًا وَذَقْتُ الَّذِي ذَقْتَهُ مَرَّتَيْنِ

حَلْمٌ

رَأَيْتُ أَمْسَ حُلْمًا رَوَعَنِي فِي مَضْجَعِي
رَأَيْتُنِي مَعَ الْحَيِّ بَ فِي عِتَابِ مَوْجَعِ
أَلَمْتُ مِنْ غَيْرَتِي ظَلَمًا بَلَا تَوَرَعِ
ثُمَّ طَلَبْتُ صَفْحَهُ لَكِنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ

كنت لا أعرف التَّبَسُّمَ حتى عودتي المنيَّ ابتذالاً ابتسامي
شفتَي الحزینتَانِ وقلبي وعیونی مَدینة لغرامی

واسمع صوتها الشاکی یذیب القلب منها لا
سلاماً أيها الحبُ وإن أورتني شجوا
یخلد عهدك القلبُ علی مافیک من بلوی
دمشق م . جمیل سلطان

على لسان شاب مصري في الثلث الاول من القرن العشرين

ألا كم مر جيل بعد جيل وماضي المجد لا یبغی إيابا
تنقل فی بلاد الأرض طراً وغادر مهده منه یابا
إلى أن عادہ شوق لأم تكابد من تنائیه عذابا
فحياها وأرسلها اليها رباحاً قد رددن لها الصوابا
سرين وقد حملن لنا جلياً نداء للكرام مستجابا

كذا قمنا بعزم ليس یخبو لترفع مصر فی الدنیا شهابا
نعید لها الشباب وكان حتما علينا أن نعيد لها الشبابا
صحا فینا «الضمير» فاد شعب صحا للجد یطلبه طلابا
یعد الفكر فی ثقة سفینا لبحر العیش مصطخبنا عبابا
علینا الواجبات هناك شتی وطرح الضیم أوالها حسابا
فما نشطت بذاك العبء قوم إلى فضل ولا شرفوا جنابا
بنی مصر الكرام سلام بدء إذا ما نلتهم العلیاء طابا

دمعة على شاعر العرب الكبير المرحوم حافظ بك ابراهيم

أرسل الینا الشاعر اللبنانی الرقیق سابا زریق قصيدة بهذا
العنوان فی ٧٠ بیتا من أصدق الشعر وأروعہ ، جلا فیها
عواطفه النبيلة فی ذكری فجیعة العرب بشاعرهم حافظ ،
واذا ضاق باب الشعر فی الرسالة عن نشرها ، فلن یضیق
عن تقديرها وشكرها . فللاستاذ الشکر الموفور والمعدرة
الخالصة ؟

والرسالة ، وقعت غلطان مطبعیان فی قصيدة واحساناتی ، للأستاذ الزهاوی التي
نشرت بالعدد ١٥ ، ص ٢٨ . الاولى سطره ١٥ : بعد ما قد نموت ، وصوابها : بعد انا نموت
والثانية سطر ٣٠ : خیر قبر . وصوابها خیر غیت .

عالمٌ أنت من جلال وسحرٍ وجمالٍ وفتنةٍ وسلامٍ
فیک أمر غیر الجمال سیقَى أبد الدهر حيرة الأيام
فیک سحرٌ من السداجة والطم ر یمد الشعور بالالهام
قد هجرتُ السكروم والحن والسقاق وصوت الكؤوس والانغام
وأینتُ الحیاةَ إلاَّ خیالا وعشقتُ الحیاةَ بالأوهام
تنساقی بها الكؤوس من السحور ونحيا فی روضة الأحلام
والأزاهیر حولنا تنشئ راقصات . بغير جرح دوامی
وطیور الخیال فیها تنأغی بریق الغناء عذب الكلام
كل شیء حتى الأنین أراه مستحباً موقعَ الانغام
اشربی الكأس واتركی لی فیہ قبلۃ تستقر بین عظامی
قبل أن یخطر النسیم فیمضی بأمانی الهوى ویذرُ حطامی !
صالح جودت

الذكری

لمن آهاتی الحرثی اذا ما أظلم الكونُ
ودمعةٌ مقلةٌ شكری یغالب سكبها الجفنُ

ذكرتُ هوايَ مذ شبتا مع الأحلام فتانا
فرُحْتُ اقطعُ القلبا وأذرى الدمع هتانا

ذكرتُ شفاهنا تدنو وما تفتُرُ فی اللثم
كلانا مدنف یخنو كأن العیش فی حلم

ذكرتُ البدر والأفقا ونجمة قلبي الدامی
ذكرتُ بنجدها الشفقا وفي العینین أحلامی

لیالی الأنس لم تبق لقلبي غیر ذكرها
یعانق طیفها عُققی وثغری لاثم فاها

أشاهد طیفها الباکی مع الأدمع جوالا

في الأدب الشرقي

من الأدب التركي الحديث

عبد الحق حامد

للدكتور عبد الوهاب عزام

نشرت في « الرسالة » الماضية ترجمة المقدمة المنشورة التي كتبها شاعر الترك الأكبر للرثية الكبرى التي رثى بها زوجته فاطمة وسماها « المقبر » ووعدت أن أنشر في هذا العدد مثالا من شعر هذه المرثية .

ولأأكتبتم القارئ أني حين وضعت الكتاب أُمّامي - وهو زهاء ألف بيت تدفق بها قلب الشاعر الحزين على غير ترتيب - لم أدر كيف أختار: الرسالة لا تتسع للأسهاب، والأيجاز لا يفي بالأبانة. ولولا وعد لقراء الرسالة سبق ما كلفت نفسي هذا الشطط. عبرت الكتاب أنتقي من صفحاته، أبدأ ترجمة الفكرة ثم، يضطرني إطناب الشاعر إلى الوقوف دون غايتها. وأجد البيت الفرد البديع مكملا لأبياتا كثيرة فلا أستطيع أن أترجمه وحده، ولأن أن أترجم كل ما اتصل به، على أن في بعض الأبيات إيهاما وغموضا وفي بعضها اضطرابا. وقد وصف الشاعر كتابه في المقدمة التي يذكرها القارئ، وقد ترجمت عجلا حين ضاق الوقت، حتى أرسلت المقال بالبريد على قطعات، من خوف « الزيات »: «
أواهلم يبق الحبيب ولا الدار، وبقى قلبي ملؤه الأحزان
والأكدار. كانت هنا الآن فصفت منها اليد؛ جاءت من الأزل
وذهبت إلى الأبد.

ذهبت وبقيت هي ترابا، وحلت رفاتنا قفرا يبابا. أواه
إنما بقي من أنس القلب الكريم، قبر في بيروت مقيم.
أين أين أفتش عن هذا الحبيب؟ ومن أسائل عن هذا الغريب.
يارب! أين أين هي: في الأرض أم السماء؟ رب! من قذف
بي في هذا الشقاء؟

يقولون: انس خِلّ الوفاء، فقد سلك طريق البقاء. هل

يسع الخيال هذه الحقيقة، وهل ترى العين هذه الفجيعة؟
ما أسرع ما انقلبت في الحال! انقلاب لا يصدق الفكر
والخيال. أرى شيئا، أراه يشبه القبر! ويشبه الحبيب حين أنعم النظر.
تمضي بي على الشك اللبالي، ويزيد على مرّ هازني ووبالي.
إنها صدمة انقلاب قتال، فليت شعري هل حُمّ لي الزوال؟
هلم فاطمة اصعدي من اللحد، وارجعي سيرتك التي أعهد.
لا تكتمي غنى هذا السر. وأفصح بكلمة. أواه! إنما أريد كلمة منك.
ابتسمي ابتسام الورد، وداوي جرح القلب. وأتمني أيام
حياتي بنظرة معسولة، أو بسمعة ساحرة.

أقبر هذا؟ ما هذا الذي أرى؟ أمكان الحبيبة هذا الثرى؟
إنها لمحنة، إنها لحيلة، إنها لفنائى وسيلة.

أنظر أنظر كيف حال الياسمين المنور، وانظر إلى الوجه
الوردى كيف اغبر: تعسا لك تعسا أيها الجدّ الأعسر،
ويا ويلنا إلى يوم المحشر.

رب ما غاية هذا العيش الأغبر؟ وما غدّ هذا البشر؟
أبلغ فكري روحها، أوسير روحى إلى ترابها.....

رب ما هذا الصفر في الحساب، لكل الأرقام إليه انقلاب.
أهو عدم ذو وجود أو قبر في اضطراب؟.....

لقد تولّاها السقام، وملاّت صدرها الآلام، تضحك
وضميرها في عذاب، تخفى بضحكها خفى الأوصاب
وكم حسبها الناس في سرور، وما سرورها إلا الحزن المكتوم،
حتى ملأت باليأس نفسى، وأثارت الفتنة في قلبي.

القبر منتهى هذه الدقائق، وسر عجب من أسرار الخالق.
نور كلما مال للغياب، هبط إلى كومة من التراب.

هذا أعلى الشواهد، وهذا أروع الحقائق، أيها الشقى تلك
حقيقة لا تدرك. هذا شأنك، وهذه في الدنيا حالك.....
لقد كانت شعرا بليغا مبهما، كان فكرها شاعرا ملهما.
«صحراء وتزر وأشبر (١)» من وحيها وما كنت إلا واسطتها....

(١) صحراء وتزر وأشبر ثلاث منظومات للشاعر

كنت أفهم هذا الوجه الشاحب، الذى منح شعري اللون المعجب. تأبى أفكارى أن يكتب ويُفهم، وهل تنحت الجبال بقلم؟ اجتمعت ضروب الآلام فى صدرها، والناس فى غفلة عن أمرها؛ كان كل من رآها يشفق عليها ويحبها، ولا يدري لماذا؟... وكانت ملكة الخلق الكريم. والفكر السديد. تشعر بخطرات نفسى وتقرأ أسارير وجهى.

وكانت وإن لم تكثر الكتابة، ملهمة لا تخطئ الأصابة، وكمننت منها بالسلم الدقاق والذكاء العجيب، قد عمرها شعري الخراب، وتلاؤا فيه صنعها العجائب. كانت نجى الأفكار فى نفسى خبيرة بالكلمات التى تندى عنى.

نذبل الوردة الناضرة فتخلفها وردة أخرى، تضىء مكانها وتفتت، كان الأولى لم تتغير. وتغرب الشمس المنيرة فاذا هى فى الصباح مشرقة. ولكن شجرة الورد هذه لن تزدهر، ولكن هذا النجم فى غروب مستمر. سلكت بى الفكر ألف سبيل وراءك أيها القمر ففى العقل دونك وأقصر. صاعقة ولكن لا يسمع صوتها، ونور يسقط ولكن لا يبين ضياؤه.

يارب أين أين الحقيقة؟ أجعلت الغم سر هذه الخليفة؟ مهما طال نى الأنين واستمر، فما هو الا كائن الشجر.... لا ريب أن حياتى سم أنجرعه، فيدنينى من الموت الذى أرتقبه، شرح هذا الوجود فهو عدم، وقبب هذا السرور فهو ألم. ليت شعري أفى الموت نجأتى؟ ليت شعري ماذا يجب الى حياتى؟ قد انهدمت خليقتك على يارب فكيف تحتها ثباتى؟ حسبي حسبي سموم هذا القهر، حسبي حسبي طغيان هذا النهر. أليس لهذه السيول تناهى؟ حسبي جرعة واحدة يا الهى. ما بقائى فى الدنيا! أعضو أنا فى جسم الدهر؟ أنا يارب مرآة جلالك أم أنا شعاع من جمالك؟.....

أمامى مسجد التوحيد الوضاء، وفى عقلى الشك وفى قلبى الرجاء. وفوفى لقاء السرمدية، وتحتى فناء الآدمية. أرجو من الخالق خلودا، فيبدولى التراب والحجر وعيدا (١) وأقول ان الانسان لا مرية، الى الفناء، فتصيح روحى: كلا إنه للبقاء..

(١) يريد تراب القبر وأحجاره

ان لم يكن للشر مزية فى الوجود، فلماذا توحى اليه المشيئة الخلود؟ أيها القبر إنما هذا السكوت، خطاب الحى الذى لا يموت. (يستمر الشاعر يقيم الحجج على خلود الانسان ثم يرجع الى خطاب حبيبته ثم يخاطب الله بين الاعتراض والتسليم الى أن يقول) رب كيف لا أشكو؟ ألا يصيح الجريح؟ ما هذا القبر الذى أمامى؟ وضعت فيه حبيبا جميلا، وجعلت التراب حدود عقلى، وحسبت ادراكى على هذا الحجر. واعتصمت بك فهويت على. إن لم يكن للبكاء جدوى فكيف يسكت القلب اللجوج عن الشكوى؟ لماذا تن الطيور فى الأوكار؟ أليس لقلبي أغنية كهذه الأطيوار؟

قالت لى يوما فى اضطراب: جئت الى الهند لأموت فى اغتراب. فضحكت من قولها وتكلف الثبات، ولكنى أحسبت أن قلبى قد مات. ثم ودعنا الهند بين الموت والحياة. جاوزنا القناة فى غم و كرب، وليس القوت الا دم القلب. كلما سألت أجاب السعال الظالم. ذلك الجواب المظلم. حتى اذا لم يبق الا رمق، لاحت بيروت فى الأفق « ومر يوم ولم أدر بما كان وسألها فاذا النعش عيان

النعش هذا الدليل دليل المقبر، النعش ذلك الهيكل الأغر، النعش ذلك الخطيب الأصم الأبكم، النعش ذلك الهمود المجسم. النعش هذه السكتة المحيرة، النعش تلك المصيبة المكررة. النعش ذلك الانقلاب الصموت. ذلك الحد المتحرك للعقل المبهوت. النعش خراية الأمل الخامد، النعش ذلك الاغبار الخالد. النعش ظل المحشر على الاكتاف، النعش ذلك الموت المتموج النفث على هذه الروح ألواح فقطحت ذراعى للموت.... أيها التراب المضى، تراب الحبيب الصامت! أيها النور الأسود الثابت! ان قلبى ليتحطم من جمودك، وان روحى لتقوت من خمودك.

لا لا، ليس ترابا انه موت ثابت. لا لا، ليس موتا انه جوار صامت. لتحرس الملائكة هذا القبر وتضىء عليه الثوابت.

ليس ترابا كله قبر الحبيب، ان له قبرا آخر من النسيان الرهيب. النسيان أسفل المقابر، النسيان مقتل الأكاير. وقبر آخر ذلك القلب الهباء فهو والتراب سواء. فالحبيب ذلك الملك المسافر، طائر بين هذه المقابر...

يارب ما أعظم محبتك التى أرى وما أعظم رحمتك التى

في الأدب الفري

« واذا أتى يوماً؟ »

قصيدة لموريس ماترلنك

للاستاذ ابي قيس عز الدين علم الدين

عضو الجمع العلمي العربي

على حب الأدب ، فحذق الصناعتين ويعده البلجيون من عباقرة شعرائهم وكتابهم الخالدين : وقد أدخل في الادب البلجي اسلوباً جديداً وامتازت قصائده بطابع حزن عميق يثير مكنون الاسى ، وأما رواياته التمثيلية فانها تقع مطالعها بأن حياة الناس حاضرة لعوامل خفية ، وأن العالم الارضى مقصي عليه بقضاء وقدر مضاعف : قدر الحمام ، وقدر الغرام . وأهم آثاره : بيوت الزجاج (١٨٨٩) ، الاغانى الاثنتا عشرة (١٨٩٧) ، الاميرة مالن (١٨٨٩) ، العميان (١٨٩٠) ، بلياس ومليزاند (١٨٩٢) ، العصفور الازرق (١٩١١) ، كنز المتواضعين (١٨٩٦) ، الحكمة والقدر (١٨٩٨) ، حياة النحل (١٩٠١) .

والآثار الثلاثة الأخيرة تدل على براعة ماترلنك وعبقريته ، وعلى رسوخه في فلسفة الاخلاق وعلى شاعريته الجبارة ، وأما قصيدته الخالدة الموسومة بعنوان « واذا أتى يوماً؟ » فهي من مروات أغانيه الاثنتي عشرة ، ويعود تأثيرها البليغ الى تأثير موقفها الفاجع ، ولعمري أى أمر أفجع من موقف شقيقتين تحتضر احدهما فتسألها الاخرى عما تجيب به اسئلة خطيبها اذا ما عاد يوماً من دار هجرته الى دار مهجته ، فتجيبها ، ولم يبق من شقيقتها إلا حشاشة ، بأجوبة رمزية تشبه غصص المنية ، وإليك الآن هذه الاغنية تلتاع القلوب الشاعرة لفرأتها ، وتنتزع العقول العبرة من عبراتها . . .

س : واذا أتى يوماً وعاد فما أقول لمن يعود ؟
ج : قولى له : انتظرتك حتى فارقت هذا الوجود
س : واذا الحَّ وليس يع رفق ليكتشف الحقيقة ؟
ج : فتحدثى معه كما تتحدثين الى شقيقة
س : واذا تسأل : أين أنت ؟ فما يكون جوابه ؟
ج : أعطيه خاتم خطبتي الذهبي فهو جوابه

بمناسبة ما نشرته الرسالة البارعة في العدد الرابع عشر من رواية بلياس ومليزاند ترجمة الأستاذ حسن صادق ، أبعث للرسالة بقصيدة تعد من روائع الأدب الرمزي ، وقد نقلت الى معظم اللغات الغربية ، وأما شاعر هذه القلادة المروية فهو الأديب البلجي الكبير موريس ما ترلنك Maurice Maeterlinck الذى ولد في غاند سنة ١٨٦٢ ، وقد نشأ مفطوراً تفيض بها الأرجاء كلها ! ألا يفنى في هذا كله الفراق المنبعث من القبر ؟

هذه الأنجم ضياء وحدتك ، وروحى كذلك أحد كواكبك ، والحيبة التي كانت ملكا - طارت لاريب - الى جنتك كلما ذكرتك اتسع خيالى ، وصارت فجرا منيرا هذه الليالى . ما أعظم اسمك أنسا للروح ، انه يسير اليك فى صيحات الفؤاد المجروح ؛

أقول « الله » فيفسح المجال ، أقول « الله » فيفارقنى الزوال بحركة هذا الصوت الأعظم ، يطير جناحي وان حطمه الغم أنت أقرب الى الله يا محمد ، أيها العقل المعظم المؤبد ، أنت الذى سلكت بنا السبيل ، وكنت الى الله الدليل .

ليصمت بعد هذا النواح ، فلا تضيق به الأرواح ، هذه الآهة التى تفيض من الروح ، لن يسمعها بعد القلبى المجروح ساء كون فى الدنيا قبرها ، تطوف فوق روحها ، سأصمت عن هذا النحيب ، لأفرغ للتفكير فى الحبيب . اه

س: وإذا استراب وقد رأى في المخدع الخالي العجاج؟
ج: فاريه أن الباب مف توح مذ انظفاً السراج
س: وإذا استزاد مروءةً عن حال ساعتك الاخيره؟
ج: قولي له: ابتسمت مخا فة أن تنوح على الكسيره
الفيحاء
أبو قيس

« بوفون BUFFON »

تمخض العالم عن شخصية « جورج لكلرك » قونت بوفون « في مدينة «مونت بار» عام ١٧٠٧ . ولما يفع وترعرع دخل معهد الآباء اليسوعيين ، ليحتلب من ضربه علوم القرن الثامن عشر ؛ ولكن نفسه الجبارة ، نزعت الى الطبيعة الخلابة ، فودع بقية العلوم في ذلك المعهد ، وراح يضرب في انحاء ايطاليا وانجلترا ، يتحرى قوانين الطبيعة في أماكنها ، ويدرس طبائع الحيوان والنبات عن كشب ، شأن البحاثة المدقق الذي لا يرضى بما لاح من صيد ، ولا يعود من مغامرته بالقشور دون اللباب . فانكب على العلوم الطبيعية ، يقتلها درساً وتحقيقاً ، حتى ضرب فيها بسهم صائب ، وبلغ منها ما أمل وما أراد ؛ ولم يدُر مع الأرض حول الشمس ٢٦ دورة حتى انتخب عضواً في « أكاديمية » العلوم . وبعد هذا التاريخ بست سنوات عين ناظراً عاماً « لبستان الملك » الذي يطلق عليه الفرنسيون اليوم اسم « بستان النبات » . كان « بوفون » إذا أراد الكتابة ، اعتزل الضوضاء في غرفة منزوية ، وارتدى ثوبه ذا الأكام الموشاة ، والناطق باسم مقامه العالي ، وتقلد سيفه المحلى بحلى ثمينة ، ثم جلس الى مكتبته يتخير لأفكاره أشرف المباني ، ولعواطفه أرق التعابير ، وحينما ينتهي من كتابته يعيد قراءة ما دبحته يراعيه ، بصوت مرتفع أجش ، وجنان تتجاوب في ارجائه عواطف الحماسة والعظمة ، حتى إذا ما هذب ونفح ، وتلا ما كتبه ثالث مرة : غادر مكتبته وماء البشر يترقق في وجهه ، ونشوة السرور تدب في جسمه . اشتغل بوفون مدة خمسين عاماً في تأليف كتابه « التاريخ الطبيعي » جوهره الأمس

ودرة اليوم ، ولكن المنية شعبته فحالت دون تدوين دراسته المستفيضة بكاملها ، فظل الكتاب مبتوراً تنقصه ابحات مهمة كالأفاعي والأسماك ، والحشرات والنبات ، وقد سد هذه الثغرة في هذا الروض الأريض « لاسيد » تليذ بوفون المخلص ، وصديقه الحميم .

ومهما يكن من شيء فإن شهرة « بوفون » ما زالت تطوى المراحل وتجوب الأمصار ، وسمعت ما انفكت تسير بذكرها الركبان ، وتتجاوب بصداها المحافل . وقد عرف له مواطنوه نبوغه ، فانتخبه المجمع العلمي الفرنسي عضواً فيه ، وأنعم عليه لويس الخامس عشر بلقب « قونت » .

ولم تحترمه يد المنون في عام ١٧٨٨ حتى رأى تمثاله منتصباً في مدخل متحف التاريخ الطبيعي ، وقد حفر عليه باللغتين الفرنسية والألمانية : « إن عظمة الطبيعة تساوى عبقريته »

ولست لأعرض الآن لأدبه بالتحليل والنقد ، فعساي أن أعود اليه في يوم آخر ، ولكني مترجم هنا آية من آياته الخالدة ، في وصف الصحراء العربية .

« صحراء جزيرة العرب Le desert de l'Arabie »

« تصور بلاداً لا تتنفس عن اخضرار ، ولا تترقق في مآقيها المياه ! شمسا تنقد اتقاداً ، وسماؤها أشد جفافاً من الضرع الداوى . تستر الرمال أدُم وديانها ، وتسيطر جنود الجذب على جبالها !! تطل عليها الباصرة فيضل البصر فيها ، دون أن ينعم برؤية شيء تتجاوب فيه خطرات الحياة . أرض جر عليها الموت أذياله ، قد عصفت فيها أعاصير حاصبة ، نزعت عنها غلاتها الرملية ، فلا يصطدم فيها نظرك العُقباني ، إلا بهياكل عظمية ، وحصباء منتثرة ، وصخور منتصبة ، وأخرى مستلقية .

صحراء ليس بينها وبين وهج الشمس من حائل ، فليس بمقدور المسافر أن يفيء الى ظلال بليلة . هنالك لا صاحب

اللقاء العجيب

لأندره شينيه

هي: أيها الغاب هل رأيت حبيبي قرب ماء الغدير عند الغروب؟
 كم صباح أتاك بل كم مساءً عندهمس الصبا وشدة الجنوب
 سوف أصغى لكل صوت بعيد فلعلني أحظى به من قريب
 هو: إيه يا موجة الغدير سلاماً يا عروس الماء النير السكوب
 إحملني لى حبيبتى فهى عندى زهرة الحب فوق غصن رطيب
 كم لثمت العشب الذى وطئته قدمائى فى الغاب دون رقيب
 هي: آه لو يعلم الحبيب بشوقى وحسينى وحرقتى وشحونى
 هل أراه فى الغاب؟ إن خيالى ليراه فى ذا المكان الرحيب
 سوف أدعوه بابتسام وعطف فعساه يكون بعد مجيبي
 هو: رب هب لى رحماك صبراً جميلاً إنما الصبر جنة المكروب
 هل أتاها أنى ليخفق قلبى لسماع اسمها الجميل الطروب؟
 سأنادى دوماً بصوت حنون علماً أن تجيب صوت الحبيب
 هي: آه إني رأيتاه فأعنى بالسانى فى ذا اللقاء الرهيب
 إيه يا ناظرى ويا شفتيا إهدأ ساعة اضطراب القلوب
 هو: مالهذى الاوراق تهزدونى؟ قد بدا لى ثوب الفتاة اللعوب
 إنه ثوبها فىا مقلتيها عبرا عن غرامى المحجوب
 هي: أهنا أنت؟ إن ذا لعجيب أنا وحدى فى ذا المكان الجديب
 لم أفكر فى أن أراك ولكن جزئته نحو بيتى المحبوب
 هو: أنا أهو برؤية الموج وحدى وذرى الزيفون تجلو كروبي
 لم أفكر فى أن أراك أمامى لم أفكر فى ذا اللقاء العجيب!
 محمد ناجى الطنطاوى دمشق



فيؤنس وحشته، ولا شيئاً حياً فيذكره بالطبيعة الحية: عزلة
 مطلقة، وارقة الجناحين، ترعب أكثر من ألف مرة من عزلة
 الغابات، لأن الاشجار كائنات حية فى نظر المنفرد المسكين
 الضال فى هذه المهامه الخاوية، والمتمردة على سلطان الحدود.
 يتراءى للمسافر حيثما اشاح بوجهه، أن قبره منبوش فى
 هذه الفيفاء: فيرى نور النهار الساطع، أكأب من حلوكه
 الليل الدامس، لأن هذا النور لا ينبعث الا لينير له عن
 خوره وارحاء مفاصله، والا ليمثل له هول موقفه وحراجه،
 ذلك أنه ينأى عن عينيه حدود الخلاء. ويزيد فى بسطة هوة
 الاتساع، تلك الهوة التى تفصله عن الاراضى الآهلة. رقعة
 واسعة تكفيه مؤونة التطواف، ففيها جوع كاسر للطرف،
 وفيها ظمأ عاصب للنف، وفيها حرارة قاذية للثقاب. هذه
 كلها تضغط على مابقى لديه من لحظات تردد بين اليأس والموت.
 حلب: عبد الوهاب حومه

بحر ناعس

(SLEEPING SEA)

لجون فريمان

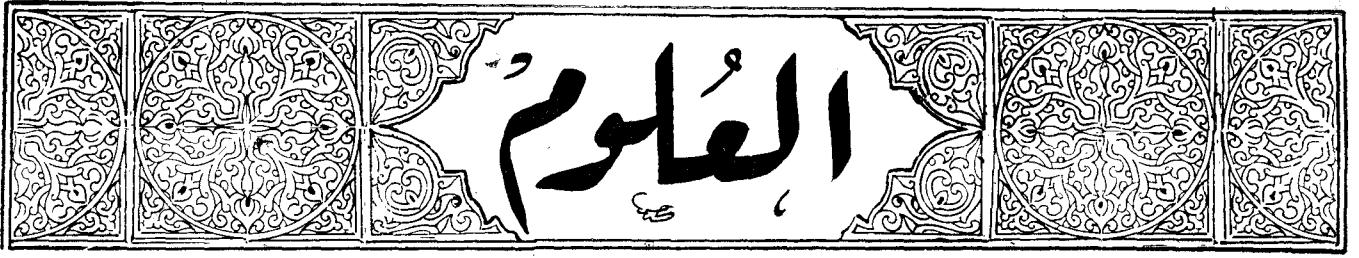
بحر
 كالطفل الغارق فى سباته.
 يحتفظ
 بخوالج وجدانه فى نهاره ليردها على لسانه فى ليله
 لا تكاد
 تطفح لجته المرتفعة حتى تخور فتراجع فى هواده وبطء
 والبحر
 فى هدوئه كركود الطفل، فى غفلته. القمر من هزاله
 كلهب الشمعة يذوى ويحتضر.

لاصوت

بالبحر كالطفل الحالم فى سكرة نومه الحادة بين بخفوت مؤلم
 ثم يرسل من أعماق صدره زفرات حارة فى تأوهات
 صامتة. لقد تشابها.

احمد محمد البيه

منوف



نشوء الكائنات الحية على وجه البسيطة

للاستاذ السر آرثر طمس

خلال الادوار الاولى لتاريخ الارض لم يكن في مقدور اى مخلوق حتى تتصوره ان يعيش وسط تلك الظروف، فقد كانت الحرارة مرتفعة جدا، وكان الهواء والماء معدومين في وجه البسيطة، اذن فلا بد من ظهور المخلوقات الحية منذ عصور سحيقة في القدم لا نستطيع معرفة تاريخها؛ اما كيفية ظهور الحياة للمرة الاولى فلا يعلم احد ذلك بالضبط، وكل ما هنالك احتمالات متباينة تأتي على ذكر أهمها: منذ القديم كان الاعتقاد السائد ان الحياة نشأت من طينة الارض بطريقة خارجة عن نطاق البحث العلمى، على ان هذا رأى يفسد علينا فهم المسألة لتسرع في الحكم عن نشوء الحياة بهذا الشكل، فاذا كنا لا نعتبر هذا رأى علميا فذلك لان العلم لا يعطى قرارا جازما ولا يبت في أمور لها من الشك نصيب كبير.

وذهب فريق من العلماء وعلى رأسهم الاستاذان « هلمهوتز Helmholtz » والورد كلفن Lord Kelvin الى ان المخلوقات الحية البسيطة لم تنشأ من صميم الارض بل جاءت اليها من الخارج محمولة بقطع الشهب المتساقطة او بواسطة الغبار الكونى، على ان تلك الكائنات ظلت في حالة السبات لعدم ملائمة الظروف لها حينذاك، وبهذه المناسبة يجب ان نتذكر ان بذور النباتات تستطيع ان تقاوم البرودة والجفاف زمانا طويلا كما ان « البكتيريا » تستطيع احتمال درجات مرتفعة من الحرارة دون ان تفقد حيويتها. وكما يرى الاستاذ « برثلو Berthelot » انه طالما لا يحدث انحلال جزيئى ففى إمكان الافعال الحيوية ان تتوقف عن العمل مؤقتا ريثما تعود الظروف الملائمة. اذن فنظرية الورد كلفن تنسب أصل الكائنات الحية الى غير الارض.

وذهبت فئة اخرى من العلماء تقول بأن المخلوقات الحية البسيطة نشأت على سطح الارض من مواد غير حية اى من مركبات كربونية نصف سائلة بتأثير بعض الخناصر. وتعزز هذه النظرية بما وصلت

اليه أبحاث علماء الكيمياء التركيبية الذين يجحوا في تركيب بعض المواد العضوية كحامض الاوكساليك والنيل، وحامض الساليسليك والكافئين، سكر القصب بطرق صناعية بحتة. على أننا لا نعلم بالضبط من يقوم مقام العالم الكيميائى في مختبر الطبيعة! ومهما كان الامر ففى المسألة غموض وتعقيد كبيران لا نتخلص منها بالنتيجة واحدة وهى ان العلم لا يستطيع الى الوقت الحاضر ان يقول كلمته فيها. أول جسم عضوى على الارض

ان أول ما يتبادر الى ذهننا التساؤل عنه هو كيفية نشوء المخلوقات الحية الاولى على الارض أو بالاحرى عن الحياة التى كانت تغطى وجه البسيطة في ابتداء دور تكونها. ولأدر اذلك علينا أن نستعين بأبسط المخلوقات الحية في الوقت الحاضر كـ بعض أنواع البكتريا أو العضويات الأحادية الخلية وخاصة المسماة منها بالاحياء الاولى (Protists) التى لا يمكن تعيين انتسابها الى المملكة الحيوانية أو النباتية. لا شك ان الجرم في مثل هذه الامور يعد تقريبا لا يميزه العلم: انما يميل العلماء الى التسليم بالنظرية القائلة، ان المخلوقات الاولى كانت كريات مجهرية من مادة البروتوسلازم الحية، لا تختلف عن أبسط أنواع البكتريا في الوقت الحاضر الا بكونها تستطيع المعيشة في الهواء والماء والاملاح الذائبة على السواء ويظن أن العضويات البحرية الأحادية الخلية نشأت من هذا الاصل وكانت قادرة على صنع الكلوروفيل أو ما يشابهه وربما كانت هذه الوحدات الصغيرة الحية محاطة بغلاف سيلولوزى. غير ان طاقتها الكامنة عظمت فتمخضت عن ذنبات أو شعيرات (flagella) صغيرة مكنتها من تسيير نفسها في الماء للتفتيش عن الغذاء. ولا يزال من امثال هذه العضويات كثير في الوقت الحاضر أغلبها يعيش في الماء والبعض منها - وهى نباتات بسيطة أحادية الخلية - تصبغ سوق الاشجار وحتى الصخور الرطبة باللون الأخضر وتدعى الخزيات (Algae) ويرى الاستاذ (شورش) A.H. Church أن البحار التى كانت تغطى وجه البسيطة في مستهل تاريخها كانت مأهولة بهذه المخلوقات المذنبة الخضراء التى وضعت الحجر الاساسى لعالم النبات ويظن ان الاحياء الاولى ولدت سلسلة أخرى من المخلوقات

المفترسة البسيطة لم يكن في وسعها أن تكون المادة العضوية - الغذاء - من الهواء والماء والاملاح فكانت تعيش على اقتراس ما يجاورها من العضويات . ان هذه الوحدات كانت عديمة الغلاف السيلولوزي بحيث يسهل للبادء الحية أو البروتوبلاسم القيام بالعمليات الحيوية المتنوعة على نحو ما نراه الآن في الاميبا أو في كريات الدم البيضاء وغيرها . من هذه العضويات المفترسة نشأت المملكة الحيوانية بأسرها .

نستنتج مما سبق ان الحيوانات الاولى والنباتات الاولى نشأت من الاحياء الابتدائية البسيطة ثم أخذ كل منها يسير في اتجاه خاص .

بداية نشوء النباتات البرية :

من المحتمل جداً أن المياه كانت تغطي وجه الارض في أدوارها الأولى ، وأن ذلك البحر المترامي الأطراف كان مأهولاً بالنباتات الابتدائية من ذوات الشعيرات (Flagellates) على أن انكماش القشرة الارضية احدث مرتفعات ومنخفضات في قاع البحار ، واقتربت على أثر ذلك الطبقات الصلبة في بعض الأماكن نحو سطح الماء ، فسمحت للنباتات العائمة أن تستقر هناك على مقربة من النور . هذا ما يصوره لنا الاستاذ « ش ش » عن مبدأ النباتات الثابتة وهي خطوة ذات شأن عظيم في سير التطور . ويظن ان أول نجاح صادفته الحيوانات كان بين هذه النباتات القديمة . وقد أخذت اليابسة بالظهور عندما ارتفع قاع البحر في الاماكن الضحلة تدريجياً . ان تلك النباتات الثابتة كانت اسلاف حشائش البحر التي تعيش على الشواطئ البحرية الآن .

الحيوانات الأولى

ان الحيوانات التي هي تحت مستوى « الحيوانات النباتية » (Zoophytes) والاسفنجيات تدعى بالحيوانات الابتدائية أو البروتوزوا (Protozoa) - ومعنى هذه الكلمة الحرفي الحيوان الاول - وكل ما نستطيع أن نقوله عن هذه الحيوانات ان أبسطها قد يذيرنا عن بساطة تركيب الحيوانات الاصلية الاولى . والواقع ان أغلب الحيوانات الابتدائية المعروفة في الوقت الحاضر هي على درجة من التعقيد لا نستطيع معه أن ندعوها « أولية » بالمعنى الصحيح ، ومع ان أغلبها مجهرية الا أن كلا منها حيوان تام قائم بذاته يقوم بنفس العمليات الحيوية التي نقوم بها نحن ، وتختلف عن الحيوانات العليا في عدم تكونها من الوحدات التي نسميها « خلايا » فهي اذن خلية واحدة مستقلة عديمة الانسجة وعديمة الاعضاء

— بحسب المفهوم العلمي لهذين الاصطلاحين — على اننا في كثير منها نعثر على تعقيد كبير في البنية الداخلية أكثر مما نقع عليه في الخلايا الاعتيادية التي تبني منها أنسجة جميع الحيوانات الراقية ، وهذا الاعتبار نستطيع أن نقول ان المخلوقات الابتدائية هي مخلوقات حية نامة لم تكتسب التكوين الجسدي بعد

بدء تكوين الجسم

قال العالم الطبيعي « لويس اكاسيز » (Louis Agassiz) ان أكبر فراغ وجد في العالم العضوي كان ما بين الحيوانات الاحادية الخلية والمتعددة الخلايا وبعبارة أخرى ما بين الحيوانات الابتدائية (protozoa) وما وراء الابتدائية (Metazoa) . ولكن لم يبق ثمة فراغ بين الفرعين بتطور الاسفنجيات وأمعانية الجوف والديدان البسيطة وظهورها باجسام المرة الأولى . فكيف نعلل تكوين الجسم وهو في خطوات التطور الكبرى ؟ . ليس في استطاعتنا ان نعلم كيف حدث ذلك على وجه اليقين إنما يمكننا ان نبسط هذا الرأي المستمد من دراسة عميقة وبحث دقيق :

عد ما ينقسم الحيوان الابتدائي (protozoon) الى شطرين أو أكثر - وهي طريقة الكاثر التي يتبعها - تنتشر الانسال وتعيش مستقلة بعضها عن بعض ؛ ولكن بعض الابتدائيات لا تنفصل أنسائها بل تبقى مرتبطة مع بعضها فالفولفوكس (Volvox) - وهو حيوان كروي اخضر اللون جميل يوجد في بعض الافقية ، ماهو الامستعمرة لآلاف أو عشرة آلاف خلية ومن مجموع هذه الخلايا نبداً بتمييز الجسم . على ان خلايا الفولفوكس هي من نوع واحد بينما نجد في خلايا الحيوانات التي تلي الابتدائية تخصص في العمل مما يدل على رقيها في توزيع الأعمال . فالجسم يبدأ بالتكون من تجمع قسم من المادة الحية حول كل نواة ، ويرتقى تكوينه كلما حصل توزيع في العمل وتميزت الخلايا الجرثومية (أو التناسلية) فيه عن الخلايا الجسدية .

اكتسابات عظيمة

ان تناظر الجسم العام في حيوانات كشقائ البحر وقنديل البحر يكون شعاعياً أي لا يوجد له جهة يميني أو يسرى ويمكن تصنيف الجسم بأكثر من سطح واحد . وهذا النوع من التناظر ملائم جداً لحياة الارتكاز أو الانجراف مع التيار . على ان حياة الديدان كانت تتطلب الحركة فاستدق طرفاها وصار لها جهة امامية وجهة خلفية وأصبحت أغلب الحيوانات من الديدان الى الانسان ذات تناظر جانبي تميز في جسمها جهات أربع ولا يمكن تصنيفها الا بسطح واحد .

الاقيانوغرافيا

أو

تقويم المحيطات

بقلم الدكتور حسين فوزي

مدير ادارة أبحاث المصائد

— ٢ —

أرموريك بلاد الانواء! رابضة في درعها الجرانيتي عند الطرف الشمالي الغربي من فرنسا بين المانش والأطلانطيق. نشأ حول أحاديدها وجوانتها وخلجانها قوم من المجازفة عركوا أهوال البحر جنوبي أسلنده وشرقي الأرض الجديدة. ومن تلك الخلجان

لاشك ان هذا النوع الآخر من التناظر يلائم حياة أكثر نشاطا من الحياة التي تستلزم التناظر الشعاعي، لذلك كان في وسع هذه الحيوانات الجانية التناظر ان تغتش عن طعامها وتتجنب الأعداء وتربص لاقتناص الزوج أو الزوجة. وقد رافق هذا التناظر تخصص القسم الامامي من الحيوان للتحسس بالمؤثرات الخارجية، وهكذا تميز الرأس عن الجسم وكانت تلك خطوة أولى في تكوين الدماغ. ثم ارتقى الحيوان في مدارج التطور خطوات واسعة فكان له رأس نام فيه أعضاء للحس وتكون في جوفه سطوح داخلية واسعة كالجدار الهضمي ومناطق الامتصاص في قناة الطعام، ثم تمت فيه عضلات تقلص وتنسبط بسهولة، واخيرا تأسس فيه نظام الدوران الذي جعل الدم وسيطا لنقل الاوكسيجين والمواد الغذائية الى كافة انحاء البدن وحمل الافرازات الضارة بالجسم لتفرز خارجا.

الهورمونات Hormones

وارتقت الحيوانات العظمية درجة أخرى بتكون غدد الافراز الداخلي كالغدة الدرقية، والغدة الادرينالية وغيرهما، وفائدة هذه الغدد تحضير مواد كيمياوية يوزعها الدم على جميع أقسام البدن، ولها أثر كبير في تنظيم العمليات الحيوية. وتعرف المواد الكيماوية التي تفرزها هذه الغدد باسم «هورمونات» التي تزيد في فعالية الاعضاء والانسجة. ان بعض هذه الهورمونات تنظم النمو وتغير ضغط الدم وتركيبه بسرعة، والبعض الآخر يستدعي بعض أقسام البدن الى النمو الفعال كغدد الحليب في الأم التي تنبه بفعل بعض الهورمونات.

تلخيص: بشير الياس اللوسي

(الموصل)

والجونات خليج دوار نينيه تشرف عليه من نواحيه المحمية من الريح الصرصر غابات الصنوبر. وهو في أغلب أنحائه غار أجرد تحف به منازل صيادي السردين قائمة الى جانب الكنائس البريتونية المنحوتة من الجرانيت. عابسة للبحر عابس لها. صامدة للعواصف تتلقاها على أسنة أبراجها الغوطية.

الوقت منتصف الليل وقد شهدت نسوة الصيادين عند غروب اليوم عودة النوارس فازعة من عرض البحر. فوجفن للعاصفة وارتفعت أبصارهن الى صور العذراء وتماثيلها في أركان القرية وتحت أعطاف الكنيسة وفوق الاسرة الخشبية يتعوزن بها لتجني أزواجهن وأولادهن وعشاقهن من هول النوء المهاجم.

وفي أشد ما يكون صرير النوء تنصت نساء سائتان دى لا يالود وأوديرن ودوار نينيه الى أصوات نواقيس تنصاعد من أعماق الخليج. تلك نواقيس عاصمة كورنواي الغارقة. «أيس» حاضرة الملك جرالون حامى حى المسيحية الأولى في أشخاص قديسيها روتان وكورتان وجينويليه. من دون ابنته داهوت التي ركبت مركب الشيطان ففتحت المغاليق التي تحمي مدينة أيس من الاقيانوس.

يصبح سان جينويليه «البحر يامولاي. بادر الى جوادك» فيمتطى الملك جواده. وتقفز داهوت خلفه. ويحاول عبثا أن يلحق بالقديس السابج بجواده فوق العباب — النجدة ياجينويليه!

— ألقى تلك الملعونة في اليم أو أنت من الهالكين. واذ تبتلع الامواج داهوت يواصل الملك سراه حتى يوقفه جينويليه فيتلفت خلفه باحثا عن عاصمة كورنواي فأذا «أيس» لا أثر ولا عين طغت عليها أمواج خليج دوار نينيه. كذا جاءنا حديث الخرافة بخبر مدينة «أيس» الغارقة. وخبر غيرها من المدائن. ليونيس وأساييدا وسان يرنندان.

ولو أن الأمر وقف عند حد الخرافة لارتحنا الى قصص السندباد. وتهريف بعض كتاب العرب إذ يقصون نبأ الجزيرة التي ينزل اليها الزاخذة فما أن يوقدوا نيرانهم حتى تميد بهم وإذا هي حوت هائل يتأهب للعودة الى الأعماق. ولم تتسأل ان كان هذا حوتا أو تنينا أو دابة من دواب البحر الأخرى على حد قولهم.

ولكن فيلسوفا له في نفوسنا إجلال وإعظام. هو أفلاطون ردد ما ذكر عن سولون من أنه عرف عن كهنة مصر بأمر جزيرة «أطلانطيس» الواقعة عبر أعمدة هرقليس في البحر المحيط وهي بلاد «أكبر من آسيا الصغرى وليبيا مجتمعين» غزا أهلها جميع شعوب البحر الأبيض الا لشعب أثينا من تسعين قرنا خلت قبل ميلاد سولون

وعاد أفلاطون في موضع آخر الى الاشادة بـ «أطلنطيس» وحدث بانخسافها في مياه الأقيانوس الغربي «الأطلنقى فيما بعد» فكانت عائقا للملاحة فيما وراء أعمدة هرقليس .
أبى الخلف الذى يحمل يونان وفلاسفتها الا أن يصدق افلاطون فاعتقد بوفون ومونتيني وفولنير بحقيقة تلك البلاد المغمورة .
وحاول الكثير أن يثبت أن الجزر السعيدة «الخالديات» هى البقية الباقية من «أطلنطيس» اللجنة الأرضية

كـذا كان هذا شأن الجزيرة التى قيل بأن القديس برندان عبر اليها المحيط . توجهت اليها بعثات الاستكشاف الاسبانية والبرتغالية حتى اتفق فى سنة ١٧٥٩ على أن جزيرة «سان برندان» لم تكن سوى سراب بحرى

ولكم حدثنا جواب البحار بأحاديث بنات الماء معسولات النغم . يغرن بالنوى فيلقى بنفسه بين أحضانها فيحملنه الى قصر ملك البحر فى أعماق المحيط . وهو قصر «جدرانه من المرجان ونوافذه من أرق ما يكون القمر مان . سقوفه من «أصداف تتفتح عن لآلى . تظله أشجار عجاب تسبح بينها أسماك ذات ألوان كأنها طيور لا تعرف الأسجاع (١)

واذا كان النواخذة اهتموا بتعرف سطح المحيطات منذ أقدم العصور لأغراض الملاحة ، فقد ظل باطن البحر سرا أمعنت فى اغلاقه خرافات رواد البحار وأقاصيصهم بل وتلك المخلوقات الغريبة التى اصطنعوها اصطناعا ليدلوا بها على تهريفهم . ولا زلنا نذكر تلك السمكة التى اصطنع لها وجه قرد أو انسان للتمويه بها على الناس بأنها من عجائب البحار . وقد رأيناها معروضة فى متحف موناكو كأثر من آثار تلك العهود

ولم نذهب بعيدا وما قئ صياد البحر الآخر يتحدث اليك عن أسماك ذات أظلاف وشوارب أو شعور وصدور ناهد . وليس العهد بعيد أن نشرت احدى كبريات صحفنا صورة وحش بحرى كبير لاصقة به سمكة صغيرة قيل عنها بأنها «تقوده لضعف بصره وتسعى لغذائه» . وكأنى بها أنتيجوني تقود أوديب الاعمى خارج اسوار طيبة ليس من العسير إذن أن نكون صورة عن رأى الناس فى أعماق البحار وسكانها فى أواخر القرن الثامن عشر . وبيننا من لا يزال يعتقد « بالنص سمكة والنص بنى آدم » و « الهايشة » وما إليها من مخلوقات تتلع المدائن فى لمح البصر بله الآدميين . فاذا كانت استكشافات الملاحين فى القرنين الرابع والخامس عشر قضت على خرافة «أقيانوس» المحيط «باوي قومينا» .

المتفجر عيوناً وغدراناً وانهاراً . ورحلات الكابتن كوك فى أواخر القرن الثامن عشر أثبتت أن لا وجود لقارة جنوبية تصل أفريقيا بآسيا وتجعل المحيط الهندى بحراً داخلياً فقد لبث الناس حتى القرن الثامن عشر جاهلين بأعماق البحار سوى النزر اليسير .

قيل فى موت ارسطاطاليس أنه ألقى بنفسه فى دوامات مضيق أوريوس يأساً من تفهم تيارات ذلك المضيق . وهو موت «غير قين لا بفيلسوف ولا بعالم أقيانوغرافى» (١)

الا اننا أقرب الى احترام الرجل الذى يحمله على الانتحار يأسه من تفسير ظاهرة طبيعية منا الى احترام أمثال بلينيوس وهو يقول منذ نحو الف عام «أى وهر قليس لا يعيش فى البحر ولا فى المحيط مهما عظما مخلوق ليس لنا به علم . بل الحق العجائب اننا أعرف بتلك المخلوقات التى غيبتها الطبيعة فى الاعماق منا بأى أمر آخر

فهذا الغرور وتلك الحماقة من عالم كبير ينيان عن روح لم يسلم منها بعض العلماء وهى روح خطرة فى العلم سيئة الأثر على تقدم العالم . فذاك البلينيوس وهو لم يصف سوى نيف ومائة نوع من الاحياء البحرية — أى أقل مما وصفه أرسطاطاليس قبله — يتمشدد بمعرفته جميع الأنواع التى تعيش فى البحار . ما عساه قائل لو علم بالآلاف العديدة من تلك الأحياء التى كشف عنها علماء البحار بعده ؟

لم ينتحر هؤلاء العلماء يأساً من تفهم المحيطات كما زعموا عن ارسطاطاليس . ولم تملكهم صفاقة بلينيوس فيشيدوا بعلمهم الواسع العريض ولكنهم جهزوا البعثات الاستكشافية ورعوا البحار منذ القرن الماضى إلى اليوم . يخرجون منها عجائب ليست من «الاطلانطيس» ولا «أيس» فى شئ ولا هى من بنات الماء وما إليها من خوارق . ولكنها بدائع ذلك الكوكب الذى نحيا على سطحه نسقتها الطبيعة تنسيقاً يتفق وما أودعته فيها من قوى وما فرضته عليها من نواميس .

وانا لنستسمحن القارىء أن تقدم اليه بعض أولئك الأعلام الذين أقاموا ذلك الصرح البديع بين قصور العلم . أعنى صرح الاقيانوغرافيا . ولعل القارىء راغب معنا أن يعرف طرفاً مما قاموا به فى هذا السبيل .

اكتشافات وأسماء أعلام

كان العالم بواش فى سنة ١٧٥٣ ممن اعتقدوا بالطوفان فقال بأنه اذ

(١) سير وليام هيردمان . مؤسس الاقيانوغرافيا

(١) أندرسن . قصة «بنات الماء»

منها مجموعات تمثل سكان المنطقة من حيوانات «Fauna» ومن نباتات «Flora»

في ذلك العهد استعان دوناتي ومارسيلين على دراسة أحياء القاع الضحل قرب الشواطئ بمجرقة «dragne» الصيادين . والمجرقة كيس شبكي يحيط بفوهته أطوار من حديد ذى أسنة . تسحب على القاع فيجرف الاطار الحديدي حبات الرمل أو الطين وتلقى الكيس ما يجرف من تربة ومن أحياء تعيش على تلك التربة . وانتشرت المجرقة بين علماء أوروبا فبدأ يملن أدوار باستعمالها في فرنسا سنة ١٨٣٠ وفوربس في إنجلترا سنة ١٨٣٢ وسارس في النرويج سنة ١٨٣٥

كان من أثر امتحان الرواسب البحرية بالميكروسكوب في إيطاليا في أواخر القرن الثامن عشر أن لوحظت ظاهرة كان لها أحسن الأثر في استشارة حب الاستطلاع البحري عند علماء القرن التاسع عشر ، ذلك أنهم لاحظوا تشابها بين الحفريات التي وجدها الجيولوجيون في باطن الأرض على أبعاد كبيرة من البحر . وبين مخلوقات بحرية تعيش قرب الشاطئ . . . والحفريات كما يعلم القارىء بقايا أحياء انقرضت في غابر عصور الأرض . وهنا دخل في روع الباحثين أنهم لابد مهتدون في قاع البحار الى نماذج حية من تلك المخلوقات التي لم يعثروا الا على آثار انقراضها في قطاعات الجبال والأودية . وامتد خيال العلماء — وما حرم العلماء ملكة الخيال — الى يوم يكشفون فيه عن صورة حية لما كانت عليه الأرض منذ بضع ملايين من السنين .

وكاد فوربس الاسكتلندي يقضى على هذا الحلم الشائق اذ أفق بعد رحلة الى بحر أيجيه : بأنه لا أثر للحياة في البحار بعد عمق ٦٠٠ متر ومع أن فوربس أدى الى الاقياوغرافيا أجمل الخدمات — فهو أول من لاحظ بأن الأحياء البحرية تعيش جماعات لكل عمق معلوم جماعة خاصة منها تختلف عن جماعة عمق آخر — ومع أنه وصف كثيراً من حيوانات الأعماق الضحلة حول الجزر البريطانية فقد كان خاطئاً في زعمه أن لاهياة بعد عمق ٦٠٠ متر . وحصل سيرات على مخلوقات تعيش في البحر الأبيض على عمق ٣٠٠٠ متر . وجاء عهد وصل البلاد بالأسلاك التلغرافية عبر قاع البحر فكانت سببا في سبر أعماق بعيدة . وكان أبعد غور وصل اليه ثقل مقياس العمق في سنة ١٨٤٠ أثناء بعثة سيركلارك روس الى القطب الجنوبي هو ٦٠٠٠ متر . وحدث في سنة ١٨٦٠ أن قطع سلك من أسلاك التلغراف البحري على عمق ٢٥٠٠ متر فوجدت عالقة به مخلوقات حية .

غرض الماء كشف عن الجمال فالأودية . ولو واصل الماء هبوطه لظهرت أعماق البحار وديانا تتوسطها جبال أخرى . فالجبال المغمورة بمياه الاقياونوسات تكمل سلسلة جبال اليابسة . وهي تقسم البحار أحواضاً متصلة فوق قممها المغطاة بالماء .

هذا النوع من التفكير قائم معظمه على أساس من المنطق ولكنه غير علمي إذ يتعدى ما يمكن استنتاجه من المشاهدات المباشرة . الا أن ما يعجبنا من بواش هو أن الاكتشافات الاقياوغرافية أثبتت أن قاع البحار أغوار سحيقة وجبال مرتفعة وأنه قد يمكن اعتبار تلك الجبال حلقات من السلسلة الأرضية . وأن في شواطئ بعض الجزر وانحدارها السريع الى أعماق بعيدة ما يدعوى الى اعتبار هذه الجزر قناة جبال شمنت برأسها على سطح المحيط . وأن المحيطات مقسمة الى أحواض تفصلها اسوار جبلية ، وأن هذه الاحواض إن ظهرت متصلة فلا ن مياها تغطي أعالي فواصلها الجبلية قال صيادو المرجان « البحر لا قاع له » فهزأ مراسيمى بقولهم ووعد لو عني أحد الأمراء بتجهيز سفائن خصيصاً لدراسة الأعماق . ومراسيمى رجل فرنسي مفكر يركز تفكيره على قواعد الموازنة والتقابل «symétrie» ولما كان مجرد وجود الجبل يعني وجود الوادي فقد استنتج ان الشواطئ الجبلية تعني انحدار الشاطئ عاجلاً الى الأعماق . ولم يقف مراسيمى عند هذا المنطق . بل عني بدراسة الأعماق القريبة وقسمها بحسب أنواع رواسبها وكان أول من وضع خرائط الأعماق مبينا عليها نوع القاع من صخرى ورملي وطيني ولقد قيس درجة حرارة الماء تحت سطح البحر أثناء رحلات الكابتن كوك التي كشفت فيها عن البحار الجنوبية . ولم يكن في المستطاع قياس حرارة الماء الى عمق بعيد بدقة قبل اختراع ترمومترات النهاية الصغرى والنهاية العظمى وغيرها مما تسجل درجة الحرارة عند عمق معلوم ثم تبقى على تسجيلها فلا تتأثر بطبقات الماء التي تخترقها وهي عائدة الى سطح السفينة .

الا ان دى سوسور تمكن في سنة ١٧٨٠ من قياس حرارة مياه البحر الأبيض على عمق ٦٠٠ و ١٠٠٠ متر بواسطة ترمومتر عادي أحاطه بموصل رديء للحرارة .

تصل بنا هذه الملاحظات التي ترددت بين النخمين والملاحظة المباشرة الى أوائل القرن التاسع عشر حين انتشر نوع من الهواية هو عمل المجموعات الحيوانية والنباتية . وكان ذلك فاتحة عهد « الطبيعيين في الخلاء » أو أولئك الذين يجوسون بالاحراج والجبال والأودية يلاحظون الأحياء في وسطها الطبيعي وينتخبون

كان طبيعياً أن تثير أمثال هذه الاكتشافات في جميع الشعوب الحية الرغبة في الاستزادة من تعرف أعماق البحار . واذ علم ويفيل تمسون الاسكتلندي بأن سارس النرويجي عثر على عمق ٢٠٠ متر في فيورد لوفون على حيوان حى من فصيلة كانت تعد من الفصائل المنقرضة، توجه اليه لمشاهدة ذلك الحيوان . وكان ويفيل تمسون من أولئك العلماء الذين بنوا كبار الآمال على اكتشاف مثل حية من الفصائل المنقرضة في الأعماق البعيدة . فارتاد الاطلانطبق على ظهر السفينة « لايتنج » مرة والسفينة « بوركوين » مرة أخرى . وسبر حتى عمق ٤٥٠٠ متراً فوجد فيه مخلوقات حية منها ما يتصل بفصائل انقرضت منذ العهد الثلاثي والطباشيري .

طارت شهرة ويفيل تمسون في آفاق أوروبا وأمريكا نتيجة اكتشافاته ولكنه بلغ قمة مجده حين ألقى اليه مقاليد أكبر بعثة في تاريخ الاقياونوغرافيا . وهى بعثة « تشالنجر »

تشالنجر : « أعظم البعثات الاقياونوغرافية »

قامت تلك البعثة على ظهر « تشالنجر » وهى سفينة شراعية حملتها ٢٣٠٦ طن . ذات محركات بخارية مساعدة . خرجت من الجزر البريطانية في سنة ١٨٧٢ وعادت في سنة ١٨٧٦ بعد أن قطعت ٦٩٠٠٠ ميل في الاطلانطبق والباسيفيك، وصلت فيهما حتى الحاجر الثلجي للقطب الجنوبي . أسند قيادها الى ويفيل تمسون وكان من أهم أعضائها جون مورى وبكنان، وقيدت مشاهداتها في ٣٦٢ محطة حصلت منها على مجموعة ضخمة من الاحياء البحرية ونماذج المياه ونماذج القاع وسبرت حتى نيف و ٨٠٠٠ متر . ومهما أشيد بأبحاث من تقدموا « تشالنجر » فقد كانت هذه البعثة فتحاً مبيناً في دراسة المحيطات . ولا غرو أن تؤرخ الاقياونوغرافيا تبعاً لها فيقال عهد تشالنجر وما قبله وما بعده .

استغرقت دراسة النماذج التي جمعها البعثة ٢٠ عاماً كانت فيها أدبرة محط رحال العلماء من كل صوب . يتقاسمون شرف دراسة تلك المجموعات التي وزعت عليهم دون نظر الى جنسيتهم . لذا ظهرت مجلدات هذه البعثة الخمسين متوجة بأسماء أكبر علماء الحيوان والنبات والجيولوجيا والكيمياء والطبيعة . وبرغم السنين وتقدم الأبحاث الاقياونوغرافية وابتداع الآلات الدقيقة فلا تزال تلك المجلدات مرجعاً من أهم مراجعنا . وما تزال دراسة السير جون مورى والأب رينار لرواسب المحيطات أكبر عمدة لمن يختصون بهذا النوع من الدراسة .

ليس في مكتنتنا ونحن نستعرض سراًعا بعثات الاستكشاف

الاقياونوغرافى أن نقف طويلاً ببعثة تشالنجر . وستعرض لنا فرص عديدة للعودة الى نتائجها . ونكتفى هذه المرة بتلخيص جد مقتضب لتلك النتائج .

بعض نتائج بعثة « تشالنجر »

١ — وضع خرائط لبحار المحيطات والقضاء على المبالغات التي شاعت عن أعماقها وكان أبعد عمق سبرته البعثة نيفاو ٨٠٠٠ متر في شمال الباسيفيك (١)

٢ — اثبات أن لا علاقة لحرارة مياه المحيطات بتغير الفصول بعد عمق ٢٠٠ متر

٣ — اكتشاف درجة حرارة ثابتة للمياه العميقة في مساحات واسعة من المحيط . من ذلك أن اكتشفت البعثة ثبات حرارة مياه الاطلانطبق الشمالى بعد عمق ٤٠٠٠ متر عند درجة ٢٥ سانتجراد . كما أن حرارة مياه القاع في الباسيفيك ثابتة عند درجة — ٨٣ و . سانتجراد .

٤ — دراسة كثر من تيارات السطح والأعماق في المحيطات - محاولة فهم تكوين الشعاب المرجانية . وقد تعارضت نظرية مورى « وهى المؤسسة على نتائج بعثة تشالنجر » ونظرية داروين في أصل تكوين هذه الشعاب . ولا تزال المعضلة قائمة اذ لم يصل أحدهما الى نظرية مقنعة . ولعل بعثة « السير جون مورى » في المحيط الهندي تلك البعثة التي تقوم على ظهر السفينة الاقياونوغرافية المصرية « مباحث » توفق الى تفسير مقنع

٥ — اصلاح الخرائط الجغرافية فيما يختص بكثير من الجزر والشعاب

٦ — تقدم المعارف الحيوانية تقدماً كبيراً وخصوصاً ما عرف عن فصيلة الاحياء ذات الخلية الواحدة من « الرادبولاريا » و « الجلوجيرنيا » . واكتشاف مئات من أنواع الاسفنج منها ذلك الحيوان البديع الذى أطلق عليه اسم « سلة أزاهير فينوس »

٧ — أثر الأعماق على الحياة . ففى الظلام الدامس الذى يغمر تلك الأعماق تعيش مخلوقات كف بصرها أو لا يعون لها أصلاً . وأعضائها الطبيعة أعضاء فوسفورية تضيئ سبلها فى الغياهب .

تلك بعض نتائج بعثة « تشالنجر » نمر بها سراًعا على كره منا

١٠ — أقصى عمق كان معروفاً حتى عهد قريب هو ١٠٤٣٠ متراً وذلك على مقربة من جزر الفلبين وأخيراً اكتشف الاستاذ بول بارقش عند شمال شرق بور توريكو الاثيل هوة بحرية عمقها ١٣٥٠٠ متراً . وقد قاسها بواسطة الجهاز الذى يسبر الأعماق بطريق سرعة انتشار الصوت حتى قاع البحر ثم ارتداد صده مرة أخرى الى سطح الماء .

فقد كانت حادثاته خطره في عالم العلم . وكانت الأقيانوغرافيا في مهدها فنشأت ودرجت وتقدمت بخطوات الرجال في الماضي القريب الى حد أن الدهشة تعلمنا أن آخر مجلد من تقارير البعثة صدر في سنة ١٩٠٧ وأن بكنان أحد أعضاء البعثة لا يزال حيا . وأن السير جون موري قتل في حادثة سيارة سنة ١٩١٤ وكان قد حبس مبلغ ٢٠ ألف جنيه يصرف في سبيل بعثة جديدة . وتشاء الصدفة أن يقترن اسم مصر باسم السير جون موري إذ تقوم هذه البعثة على ظهر السفينة المصرية «مباحث» في سبتمبر المقبل رافعة العلم المصري

بعثات أخرى

كانت « تشالنجر » نتيجة منطقية لتلك الحركة الواسعة التي اتجهت منذ القرن الثامن عشر إلى دراسة الطبيعة . وقد وافق قيام هذه البعثة ونجاحها تلك اللحظة العظيمة في تاريخ الامبراطورية البريطانية حين بلغت تلك الامبراطورية في أواخر القرن الماضي أوج عزها وشأو رفعتها . وبعثة « تشالنجر » ان امتازت فلا تمتاز بانفرادها ، ولا بأسبقيتها ولكن بأنها طمحت طموحا كبيرا وحققت مطمحها .

يبد أن أمريكا وجهت بعثة إلى الباسيفيك معاصرة لتشالنجر . معاصرة لها أيضا رحلة السفينة الألمانية «غزال» حول الأرض . والبعثة النرويجية إلى شمال الاطلسنطيق . معاصر لها العلامة الاقيانوغرافي اسكندر أجاسيز . وهو سويسري مولدا ونشأة هاجر إلى أمريكا ورفع عليها العلم على السفينة « بليك » والسفينة « الباتروس »

ولم تقف فرنسا ولا إيطاليا وراء الصفوف بل قامت الاولى بقسطها العلمي على ظهر « ترافور » و « تالسمان » في شرق الاطلسنطيق من سنة ١٨٨٠ الى سنة ١٨٨٣ . وأدت الثانية واجبها نحو البحر الابيض المتوسط بواسطة السفينة « واشنطن » . وطوفت سفينتها « فيتور بيزاني » حول الارض

حتى تلك الامارة السعيدة . الضاحكة وسط ابتسام الرفييرا . قدر لها أن يجلس على عرشها أمير عالم من سلالة الجريما لدى الابطال . هو البير الأول أمير موناكو . ارتاد المحيطات بين سنة ١٨٨٥ حتى وفاته في سنة ١٩٢٢ على يحوته الفخمة «أيروندل» الاولى والثانية و « برنيسيس أليس » الاولى والثانية . وهو صاحب الايادي البيضاء على الأقيانوغرافيا إذ ابتنى لها معبدا في قلب الحى اللاتيني بباريس . ومتحفا على صخرة موناكو العالية هو كعبة القاصدين ،

سواء من العلماء لدراسة مجموعاته النادرة . أو من أهل اللهوى مونت كارلو لمشاهدة الاكوازيوم

وسواء كانت روسيا بالسفينة « فياز » التي طافت حول الأرض . أو النمسا بالسفينة « بولا » التي درست الحوض الشرق للبحر الابيض واخترقت قناة السويس وجابت البحر الاحمر أو نانسن على ظهر « فرام » في المحيط المنجمد الشمالي . أو الدانيمارك بسفينتها « أنجولف » فلم ترض لنفسها دولة من الدول الحية — تلك الدول التي يعتقد كثير منا أننا ساويناها أو نكاد لبضع طرقات فتحناها أو مبان أقمناها أو أعلام وضعناها على غير مسميات . — أن تتقاعس في القيام بواجبها نحو نفسها ونحو الانسانية جمعاء . كلا . لم تترث بلجيكا عن توجيه بعثتها إلى القطب الجنوبي بين سنة ١٨٩٧ وسنة ١٨٩٩ . ولم تتوسد ألمانيا أوراق غارها بل عادت إلى كتابة اسمها في تاريخ علوم البحار إذ وجهت « الفالديفيا » إلى الاطلسنطيق والمحيط الهندي والمحيط المنجمد الجنوبي ما سمحت ثلوجه .

كلا ولا هولندا التي أضافت جوهرة إلى تاج العلم ببعثتها على ظهر « السيوجا » حول جزر الهند الشرقية « سنة ١٨٩٩ — سنة ١٩٠٠ »

وكما اختتم القرن الماضي بتلك الدول وهي في ميدان العلم أفراس رهان فقد افتتح القرن العشرين ببعثات أخرى تحمل أسماء مجيدة . ويكفي هنا ختام لهذا المقال أن نذكر أسماء الدول التي اشتركت في دراسة المحيطات منذ أوائل هذا القرن فهي هي موناكو وألمانيا وفرنسا والولايات المتحدة وانجلترا والنرويج والدانيمارك وهي هي دواما وتكرارا .

آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوته الألماني

نقله عن الفرنسية

أحمد حسن الزيات

وهي قصة واقعية من روائع الأدب الألماني تصور طهارة الحب وكرم الايثار وشرف التضحية بأسلوب رائع قوى وتحليل بارع دقيق . يطلب من المكاتب الشهيرة ومن لجنة التأليف والترجمة والنشر بشارع الساحة رقم ٣٩ والشحن ١٥ قرشا

القصص

إلى الواحات الخارجة

جنة الصحراء الغربية

(وجزيرة الناعمين) في عرف قدماء المصريين

من الأصقاع الجديدة بالزيارة في مصر الواحات الغربية تلك التي تجهل عنها كل شيء ولا نذكرها الا في مقام التشويه أو العقاب أو النفي كأنها شقة من الجحيم . فكرت في زيارة تلك الناحية المسبوذة لأرى ما فيها من رهبة ووحشة فاذا بي أتقل الى جنة يانعة هوأوها رائق عليل ، ونمرها وافر عيم ، وماؤها دافق غزير ، يحف بكل أولئك كشبان من الرمل الناعم النقي تعلو وراءها نجاد صخرية تمتد إلى الآفاق مما جعل الواحة في ظني خير مزار في الربيع وخطر من الشتاء أقلني إليها القطار من مصر الى مواصلة الواحات في عشر ساعات وهناك انتقلت الى قطار الواحات الصغير الذي سار بنا بين ست ساعات وسبع الى الخارجة فأخذ ذاك القطار يشق طريقه وسط الحقول الزراعية مسافة هي ذون خمسة كيلومترات بعدها بدأ يصعد تدريجيا وقد استحال الظمى الراسب على الأرض رمالا وعند الكيلو السادس وقفنا بمحطة : القارة وهي محطة عند اتصال الهضبة الصحراوية بالسهول الفيضية الهضبة . بعدها أوغل القطار في الصحراء صاعدا وسط واد مجذب ظل يمتد تدريجيا وتقارب القطار جوانبه الصخرية المشرفة حتى اذا قاربنا الكيلو ٤ كنا فوق هضبة تنتشر بالحصى وكلما قطعنا ثلاثين كيلومترا كنا نقف في محطة موحشة يأخذ القطار منها الماء ولا يقطنها من الأهلين نفر . وبعد نصف الهضبة دخلنا شبه وادي فسيح غير محدود الجوانب يسميه القوم « وادي البطيخ » لأنه يغص بكرات الصخر المسودة في أحجام مختلفة فتبدو وكأنها البطيخ وعند الكيلو ١٤ بدأنا نهوى خلال مجرى جاف جوانبه رائعة وكان الهبوط سريعا وغرا حتى أن القاطرة حبست بخارها فكانت تهوى المسافة كلها بقوة انحدار ليس غير ، ولبثنا تتلوى ليات متعاقبة وسط ذاك الصخر المجذب حتى خرجنا الى سهل

أدى بنا الى محطة : المحاريق : عند الكيلو ١٦٥ وهي بدء الوهدة التي تتوسطها الواحات ولذلك كنا نصير على بعد بقاعا تزينا الخضرة في شيخ فاطر . والمحاريق محلة لأبأس ، ما فيها . كانت قد اتخذت مقرا للنفي الإداري وكان يرسل اليها المحكوم عليهم من كافة الطبقات حتى عليا القوم من المفضوب عليهم وكانوا يتركون أحرارا بعائلاتهم يتجولون الى حدود معينة وراءها يقف الهجانة لكيلا يتجاوز المجرمون الحدود ، والفقير منهم كان يكاف عملا يؤجر عليه خمسة قروش في اليوم . لكن الحكومة رأت في النفي أداة للتشفي والانتقام وبخاصة من العمد الذين كانوا يسعون الى نفي من يكرهون . هذا الى المبالغ الطائلة التي تكلفتها الحكومة في الانفاق على النفي لذلك قررت الغاءه .

قنا الى محطة الشركة : وسميت كذلك لأنها كانت المستودع الرئيسي لشركة سكة حديد الواحات وكانت شركة انجليزية سعت بمجهود كبير أن تبيع متاعها للحكومة لأنها خسرت خسائر فادحة ولم يسد الخط شيئا يذكر من نفقاته ونمت الصفقة سنة ١٩٠٩ ودفعت الحكومة ربع مليون جنيه فأيدت بذلك ما يعلمه الأجانب عن سخاها العميم . وهي لا تزال نخسر فيها كل عام ، اذ من ايرادها البالغ أربعة آلاف جنيه يخص خط الواحات الف جنيه وهذا المبلغ لا يذكر بجانب النفقات . وجل الأيراد وقف على البلع في شهور الصيف

أخيرا عند الكيلو ١٩٥ دخلنا محطة الواحات الخارجة وقادني الغلام الى نزل بديع ما كنت أتخيل وجوده في تلك الناحية النائية هو « فيلا » أنيقة زيناها الأشجار الباسقة ونحوطها كشبان الرمل الناعمة . يديرها مصري يدعى « مصطفى عمر » ويقوم على خدمة النزلاء والسائحين خير قيام ، ولقد تصفحت سجل الزائرين عنده فكان من بينهم الكثير من الوجهاء ، مصريين وأجانب وبينهم بعض الأمراء . على أني أسفت لما علمت أن الرجل لا يكاد يتكسب من وراء عمله هذا شيئا ولا تكاد تساعد مصلحة السكة الحديد بشيء حتى ولا بزيادة الدعاية لمنطقة الواحات وتخفيض أجور السفر إليها في يزيد اقبال السائحين عليها كما كانت الحال في عهد الشركة

الانجليزية التي كانت تروج للواحات فكان عدد من يومها يفوق المئات سنويا ، أما اليوم فلا نكاد نحن المصريين نسمع عن الأقاليم شيئا رغم ما فيه من جاذبية كبيرة



معبد هيبس بناه دارا الاول « الفارسي » تمجيدا لآمون

فقت أتجول في المدينة فبدأت بزيارة آثارها التاريخية فالواحة كانت عامرة أيام قدماء المصريين، وأبان حكم الرومان ولعل أجل آثارها : معبد هيبس الذي بناه دارا الاول في القرن الخامس قبل الميلاد تمجيدا لآمون والمعبد عظيم الامتداد شامخ العمد فاخر البنيان يكاد يحاكي معابد الكرنك

وهناك مدافن رومانية قديمة بها بضع مئين من المقابر أقامها الروم من اللبن في قباب صغيرة تزينها في البعض صور القديسين وفي البعض الآخر أشباه البوائك والأعمدة

وسكان الواحات : يمتون بصلة الى المصريين القدماء والى الرومانيين، وقد لاحظت ذلك في سجنهم المصفرة وتقاطيعهم النحيلة المملوطة، ولا يزال للعائلات الرومانية الصرفة هناك بقية في اثنتين : عائلة الصنديدية، عائلة الأدارسة . ويمتازون بأدمعتهم المنباعدة من نواصيها . والعجيب أن أهل البلاد اعتنقوا الاسلام جميعا فلا تجد منهم مسيحي واحدوا يظهر انهم أسلموا مجبرين وكانوا يعتصمون بالصحرى هروبا من أراضي الريف وما أثقلها من ضرائب أبان حكم المالك ، وهم لا يزالون يحتفظون بالكثير من الشعائر المسيحية رغم أنهم مسلمون، فثلا شاهدتهم يعدون سعف النخل الأبيض لضفره في أشكال عدة احتفالا (بحمد الزعف) على نحو ما يفعل اخواننا الأقباط هنا . وبينهم مسجد ذو مثناة قصيرة كان من قبل كنيسة .

ومن أعجب ما رافقى «باني القوم» ومسأكنهم فهي من طابق واحد أو اثنين تبنى باللبن وتتجمع كلها في كتلة واحدة تشقها سراديب ضيقة سقوفها واطئة لا يستطيع الانسان السير فيها الا منحيا ولياتها من الأعاجيب ، ولا تتخللها فتحات أو نوافذ قط ، لذلك كانت حالكة الظلام في رائحة النهار ، ومنها ناحية يسمونها (الهدرة) أرضها صخرية زلقة مغضنة وعرة . وسط ذاك الظلام الدامس زلقت قدماي فيها مرتين . ولقد كانت تلك السراديب وسيلة من وسائل الدفاع ضد غارات البدو والدراويش الذين طالما باغتوا البلاد بغاراتهم، فكان الواحد من الأهليين يعتصم بتلك المفاوز ليمنع العدو من اختراق حرمة داره، وفوق ذلك فهي تقيهم وهج الشمس المحرقة صيفا، ولما رأت مصلحة الصحة اليوم ما يخلفه ذلك الضيق والظلام من الأوساخ وخطر الأمراض ، فتحت خلال الطرق كوى صغيرة في مسافات متباعدة انارتها اليوم بعض الشيء على اني رغم ذلك كنت أسير في سراديب كأنها السرايوم أو التيه ظلاما ووحشة ، وكثيرا ما كنت أصطدم بالمارة خصوصا عند مفاجآت الثنيات الجديدة لتلك المفاوز وقد أسرعى نظري السقامون وكلهم من مكفوف في البصر، يسبرون في تلك الطرق بخفة عجيبة وعلى ظهورهم قرب الماء، ولا يخطئون البيوت ولا تزل أقدامهم أبدا . ولقد أضافى رب بيت من تلك البيوت، فكنت أتوقع ان آوى الى كوخ صغير أو قاعة وسط تلك المطاوى الحالكة، ثم دخلنا البيت من كوة صغيرة واشد ما كانت دهشني عند ما رأيتني وسط بيت مشيد البناء طلي بالملاط ورصف بالبلاط على نحو ما تقطن هنا في مصر

والعيون والنيايح : منشورة في الواحات في كثرة لا يكاد يحصيها العد حتى قيل أن في الواحة الخارجة وحدها ثمانمائة عين بين صغير وكبير، وهذا الماء الغزير يتفجر من طبقة من الخراسان الرمل على عمق يتراوح بين ١٠٠ و ١٥٠ مترا والواحات في وهدة متوسط ارتفاعها عن سطح البحر يزيد على خمسين مترا ونحف بها النجاد الجيرية والطباشيرية من جميع الجوانب تعلو في مدرجات أعلاها فوق اربعمئة متر وبخاصة ناحية الغرب وزرع تلك الواحة ٣٠٠ كم في الطول وبين ٣٠ و ٨٠ في العرض . ومن صدوع ذاك الصخر الجيرى تتفجر العيون العديدة ، وغالب العيون كانت مستغلة في عهد الرومان فكانوا يحفرون حول العين متسعا الى عمق كبير ويضعون منقور الحشب وجذوع النخل في شكل الأنابيب لحصر الماء، ثم تطمر الحفرة، ويستدل القوم على وجود العيون كلما رأوا منخفضا رطبا يبدو نز الماء فيه، وتجاوره ربوة .

(يتبع)

بلياس ومليزاند

للفيلسوف البلجيكي موريس ماترلنك

ترجمة الدكتور حسن صادق

« تابع »

بلياس — أخاف عليك السقوط ... سأمسك يدك ...
مليزاند — لا تفعل. أريد أن أغمس يدي في الماء ... من
ينظر اليهما، يظن أن بهما اليوم مرضا!
بلياس — آوه! آوه! حذار، حذار من الوقوع في الماء!
مليزاند! آوه! شعرك!
مليزاند — (تنهض) لا أستطيع أن أبلغه!
بلياس — شعرك انغمس في الماء
مليزاند — نعم. انه أطول من ذراعي ... انه أطول مني
(سكوت)
بلياس — لقد وجدك على حافة عين مثل هذه تبكين.
أنتز كرين؟

مليزاند — نعم
بلياس — وماذا قال لك؟
مليزاند — لا شيء ... لم أعد أذكر ... نسيت كل كلماته
بلياس — وهل دنا منك؟
مليزاند — نعم. وأراد أن يقبلني
بلياس — وأنت؟ هل أرضيت رغبته؟
مليزاند — كلا
بلياس — ولماذا؟

مليزاند — آوه! رأيت في قاع الماء شيئا يتحرك!
بلياس — كدت تسقطين في الماء ... بماذا تعبين؟
مليزاند — بالخاتم الذي أعطاني إياه
بلياس — لا تلعب به فوق هذا الماء العميق
مليزاند — يداي لا ترتعدان
بلياس — ما أشد بريقه! لا تقذفه في الفضاء هكذا!

مليزاند — آوه!
بلياس — هل سقط؟
مليزاند — سقط في الماء!
بلياس — أي، هو! أين هو؟

مليزاند — لم أره أثناء وقوعه

بلياس — أعتقد أني أراه يشع في الماء بريقا

مليزاند — خاتمي؟

بلياس — نعم. نعم ... انظري جيدا

مليزاند — آوه! إنه منا بعيد! لا. لا. ليس إياه ... لقد
فقد وغاب عن البصر ... لم يعد إلا دائرة كبيرة على سطح الماء ...
ماذا نصنع الآن؟

بلياس — لا تجزعي من أجل خاتم. هذا أمر ضئيل الشأن.
سنجده أو نجد غيره

مليزاند — كلا لن نجده ولن نجد غيره أيضا! كنت أعتقد
أنه في يدي ... وكانت يدي حريصة عليه، ولكنه وقع في الماء على
الرغم من هذا الحرص ... قدفته في الفضاء بقوة شديدة كاني أردت
له أن يبلغ الشمس!

بلياس — تعالى سنعود للبحث عنه في يوم آخر. تعالى لقد
حان الوقت. سيبحثون عنا بعد قليل ... سمعت ساعة البرج تدق
اثنتي عشرة مرة تعلن الى الناس منتصف النهار، وقد سقط الخاتم
في الماء قبل أن تتلاشى الضربة الأخيرة في الهواء!

مليزاند — ماذا نقول لأخيك (جولو) اذا سأل عنه؟
بلياس — الحقيقة، الحقيقة. الحقيقة! (يخرج جان)

المنظر الثاني

(غرفة في القصر — جولو راقد على فراش ومليزاند جالسة
بالقرب منه)

جولو — آه آه: خلى عنك الجزع فليس ما أصابني بذي
خطر إنني في حال حسنة ولن يكون لجراحي أثر سيء ... ولكن لا
أستطيع تفسير ما حدث! كنت أصيد في الغابة مبتهجا هادئا ... ثم
جمع جوادي دفعة واحدة دون أن أعرف السبب ... هل رأي
شيئا غريبا مخوفا أدخل على نفسه الرعب والفرع ... سمعت ساعة
البرج تدق اثنتي عشرة مرة تعلن الى الناس منتصف النهار، وقبل
أن تتلاشى الضربة الأخيرة في الهواء، أقبل الجواد فجأة وجرى
كغريز مجنون ... وظل في عدوه حتى صدم شجرة غليظة ...
وقعت على الأرض، وأعتقد أن الجواد وقع على صدري ... شعرت
في تلك اللحظة بأن الغابة كلها تثقل على وتنزع مني الحياة في ألم
مبرح ... وأيقنت أن قلبي يتمزق ... ولكنه والحمد لله سليم في مكانه ...
لا تجزعي ولا تخافي. ستلتئم الجراح وتعود إلى العافية الشاملة

الأمم اليائس

« بقية المنشور على صفحة ٦ »

لها رفيقة فتاة من أهل الاقاليم ولدت في اسرة شريفة ولكن مولدها لم يكن شرعيا ، وكانت هذه الفتاة مدموازيل لسبيناس ذكية بارعة الذكاء . حساسة قوية الحس ، مثقفة واسعة الثقافة ، وكانت المودة بينها وبين سيدتها قوية متينة ، دامت عشر سنين لم يكدر صفوها مكدر . ثم لاحظت صاحبة الدار ان زوارها أو فريقا منهم اذا انصرفوا عنها لم يخرجوا ، وانما أتوا سمرهم عند الفتاة ، فغاظها ذلك وكانت القطيعة بين الصديقتين ، ولكنها لم تكن قطيعة مألوفة إنما كانت حدثا من أحداث العصر في باريس ، انقسم له الادباء والفلاسفة انقساماً عظيماً ، تعصب بعضهم للشيخة وتعصب بعضهم للفتاة ، وكانت كثرة الفلاسفة وعلى رأسهم دالمبير d'Alembert من أنصار الفتاة وكانت الارستقراطية المعتدلة والمحافضة من أنصار الشيخة .

ثم استأنفت الحياة المنظمة طريقها عند صاحبنا ، واتخذت الفتاة لها ناديا أو صالونا أدبيا واشتدت المنافسة بين هاتين المرأتين . وصاحبنا الآن في الثامنة والستين من عمرها قد فقدت البصر منذ ثمان عشر عاما ، وعظمت مكاتها في أوروبا حتى لم يكن عظيم من الاوربيين يزور باريس الا رأى حقا عليه نفسه ولمكاته أن يلقاها ويتحدث اليها . وفي اكتوبر من هذه السنة ١٧٦٥ زار باريس رجل من عظماء الانجليز هو هوراس ولبول Horace Walpole . كان أبوه روبرت ولبول Robert Walpole وزيرا وكان هو عضوا في البرلمان . فلما مات أبوه ترك السياسة ، وانصرف الى الادب والفن ، وكان في الحسنيين من عمره . ولم ير هذا الرجل بدا من أن يزور صاحبنا هذه ويغشى ناديا كما كان يغشى أندية الادب والسياسة كلها في باريس . فلما رأى هذه الشيخة أنكرها ، وكتب الى صديق له يصفها بأنها عجوز عمياء فاجرة العقل . على أن وقتا قصيرا لم يمض على هذه الزبارة حتى تغير الامر بين هذا الانجليزى وهذه الفرنسية ، وتكررت الزيارة فوقع الانجليزى من نفس هذه المرأة موقعا غريبا رد اليها الشباب بل رد اليها الصبي فاجبته . وأنا أعنى بهذه الكلمة معناها . احبته وقد أشرفت على السبعين ولم يرفض هو هذا الحب . ومن المحقق انه لم يلق هذا الحب بمثله ، ولكنه أضمر لهذه المرأة مودة قوية صادقة لم تغيرها الايام وظهر بها اعجابا لاحد له . واتصلت أسباب المودة والحب بينهما ما أقام في باريس ، فلما رجع الى لندرة اتصلت بينهما الكتابة ،

مليزاند — أتشرب جرعة من الماء ؟

جولو — ليس بي ظمأ . شكرا لك

مليزاند — أتريد مصدغة أخرى ؟ ... أرى على هذه نقطة

صغيرة من الدم

جولو — كلا . لست في حاجة الى مصدغة أخرى

مليزاند — أصدقني القول يا جولو ، هل تسأل من جراحتك كثيرا ؟

جولو — كلا . كلا . ليست هذه أول مرة تصيبني فيها الجراح ... خلقت من حديد ودم

مليزاند — أغمض عينيك وتملق النوم . سأقضي الليل كله بجوارك

جولو — جنبي نفسك التعب فلست في حاجة إلى شيء . سأنام كالطفل الوديع ... ماذا جرى ؟ مليزاند ! لماذا تبكين دفعة واحدة

مليزاند — (تستخرط في البكاء) إني ... إني مريضة

جولو — مريضة ؟ ماذا بك ؟

مليزاند — لأدري ... الحياة هنا تغمز على المرض ..

أثرت أن أقول لك ذلك اليوم ... لست بسعيدة هنا

جولو — ماذا حدث ؟ هل أساء اليك أحد ؟

مليزاند — كلا . ليس هذا ما أعنيه ...

جولو — إنك تخفين عني شيئا في أغوار نفسك . أنفضي إلى جملة حالك . من الذي يكدر عليك صفو حياتك ؟ أهو الملك ، أم أمي أم أخي بلباس ؟

مليزاند — لا أحد يكدر على صفو الحياة . إنك لا تستطيع إدراك نفسي ... شيء أقوى مني ...

جولو — لا تسلمى زمام نفسك إلى أوهام تبليبل بالك وتشقيك . ماذا تريد أن أفعل ؟ هل عدت طفلة غرة تتلاعب بلبك أفكار الخيال ؟ هل زهدت في زوجك ورغبت في هجره ؟ مليزاند — آوه كلا . ليس هذا هو ... أتمنى أن أذهب معك ... لا أريد أن أعيش هنا بعد اليوم ... أشعر بأن عمري قصير ولن أستمتع بالحياة طويلا !

جولو — ولكني أريد أن أقف على علة ذلك ... سيعتقد الناس إذا سمعوا قولك ، أنك فقدت رشك ، أو أنك طفلة يغمر بها حلم ساذج . تكلمى أهو بلباس الذي ... يقينى أنه لا يتحدث اليك كثيرا

(يتبع)

وكان يأتي الى باريس من حين الى حين ليرى حبيبته أو ليرى عاشقته ، أو ليرى يتيمة ، كما كانت تسمى نفسها ، فقد كانت تسمى نفسها يتيمة وتسميه هو وصيا . وكان هو يسميها ابنته الصغيرة . وكان الحنان بينهما كما أقوى ما عرف الناس من الحنان بين المحبين . وكانت نتيجة هذا الحب أربع مجلدات نشرت بعد موتها وفيها ثمانمائة من الرسائل التي اتصلت بينهما . وهي آيات من آيات الادب الفرنسي لا أكثر ولا أقل ، فيها تصوير لهذه العواطف النادرة ، الشاذة ، التي لم يألفها الناس والتي تملأ قلوبهم مع ذلك رحمة وبراً ، وإشفاقاً ، وعظفاً . ومارأيت في هذه الضريرة التي نيفت على السبعين والتي تكتب لصاحبها رسائل حب وغرام كرسائل الفتيات اللاتي لم يتجاوزن العشرين . على أن صاحبها كان انجليزيا ، ومعنى ذلك أنه كان يخاف السخرية ، والمزاح ، وكانت الرقابة مضروبة على الرسائل في انجلترا ذلك الوقت . فكان صاحبنا مروعا دائما يخشى أن تفرض رسائل صاحبه ، وان يعرف ما فيها من هذا الحب الغريب ، فيتندر الناس به في القصر وفي الاندية . فكان يرد صاحبه الى القصد في تصوير عواطفها الحارة ، وكانت هي تخاضمه في ذلك ، وكان الامر يفسد بينهما أحيانا ، ولكنه لا يلبث أن يعود الى خير ما كان . وانقطعت رسائله عنها مرة فكتبت اليه : يظهر انك لا تريد أن تظهرني من أمرك على شيء ، فاحذر أنها الوحى أن تصبر على ذلك فاني خليفة ان فعلت أن ارسل اليك سكرتيرى وان أكلفه الاسراع الى لندرة وأمره ان يلزمك وان يرسل الى بأبنائك ، وأن يعلن الى الناس جميعا وفي كل مكان أني يتيمة ، وانك وصي ، وانى أحبك ، وان يهيا لي عندك مكانا فالحق به ، وأعلن الى الناس جميعا ما بيننا ، لا أخاف فضيحة مهما تكن ، فاختر لنفسك بين الفضيحة والكتابة الى . ولعلها كانت في بعض الوقت تدعن وتطيع ، وترد نفسها الى القصد ثم ثور فترسل نفسها على سجيته وتطلق حبها صريحا حراً . وكذلك عاشت هذه المرأة خمسة عشر عاما ، استرد قلبها فيها شابا به كله وتبينت هي وتبين هو وتبين الناس في عصرهما ، ومن بعدهما ان ما اندفعت فيه هذه المرأة من العبث واللغو ، ومن المجون والفساد ، ثم من الجحد الخصب والنشاط المنتج ، كل ذلك لم يكن الاضيقا بالحياة وافتقاراً لهذا النور الذي يحجبها الى النفس . وهو الحب ، ومصارعة لهذا العدو الفاتك وهو اليأس . فلما بلغت السبعين أو كادت تبلغها ظفرت بالحب عند هذا الانجليزى ، وظفرت به من غير طريقه كما كان يقول المعاصرون ، فان العيون هي أوضح طرق الحب الى النفوس ، ولكن الحب قد يسلك الى النفوس طريق الآذان كما قال شاعرنا القديم . وأكبر

الظن أن صوت هذا الانجليزى هو الذى حمل الحب الى نفس هذه الفرنسية فثبته فيها تثبيتا .

وفي سنة ١٧٨٠ ماتت هذه المرأة وكتبت قبل موتها بقليل جدا الى صاحبها كتابا تنبؤه فيه بقرب آخرتها . وتنبؤه بانها لا تأسف لفراق الحياة ، لأنها لا ترى في الحياة خيرا بعد أن كتبت اليها أن لا تلقاه . وتنصح له بأن يستمتع بالحياة ما استطاع ، وتنبؤه بأنه سيحزن عليها ، فليس من اليسير أن يتعزى الناس عن كان يؤثرهم بالحب . فلما أتمت املاء كتابها هم سكرتيرها الشيخ أن يقرأه عليها كعادته ، فلم يستطع لأنه كان يقطع قراءته بالبكاء . هنالك احست هذه المرأة المتشائمة الياسة التي اسرفت في سوء الظن بالناس ؛ احست أن هذا السكرتير لم يكن يعمل عندها ليعيش . فقالت له بصوت خافت فيه نغمة الموت ، وفيه مع ذلك نغمة الرضى والغبطة أكنت تحبني اذا ؟

هذه صورة من صور هذه المرأة وهي من غير شك أشد هذه الصور اتصالا بالنفوس ، وتأثيرا في القلوب . ولكن لهذه المرأة صورة أخرى عظيمة الخطر جدا في حياة الأدب الفرنسي . فقد كانت ناقدة ، ولها في أدباء فرنسا ، وفي كبار أدبائها خاصة آراء قيمة تثير الإعجاب لرقتها ولبراعة الصيغ التي كانت تعلن فيها . كانت تؤثر فولتير ، وكانت تضيق بروسو فانظر الى هذه الجملة البديعة التي تنقد فيها أسلوب جان جاك : « ان لروسو حظا من الوضوح ، ولكنه وضوح البرق ، وله حظ من الحرارة ولكنها حرارة الحمى . » واتصلت هذه المرأة بأصحاب السياسة ، واتصلت بالعظماء والأشراف وكانت منهم ، وقد كتبت اليهم وتلقت منهم الكتب وقد صورتهم وصوروها ، فهذه ناحية أخرى من حياتها لها أثرها في توضيح التاريخ السياسى والاجتماعى لفرنسا في القرن الثامن عشر وقبل الثورة الفرنسية الكبرى .

وبعد فعمل أحسن ما كتب عن هذه المرأة الى الآن فصلان كتبهما سانت بوف في أحاديث الاثنين تستطيع أن تقرأ أحدهما في الجزء الأول ، وثانيهما في الجزء الرابع عشر ، فان أردت الايجاز المقنع فاقرا الفصل الذى نشر عنها في «مجلة العالمين» أول أغسطس ، فان أبيت أن تتكلف القراءة أو تشق على نفسك بالبحث فقدر هذا الوصف الذى كان يصفها به فولتير ، وفكر فيه فانه يعطيك منها صورة قوية ، تملأ نفسك رحمة واعجابا . فقد كان فولتير يسميها : « الضريرة المبصرة » .



القصاص

هذه القصة من تأليف الكاتب الانجليزى المعروف جون جالزورثى وهى من أشهر قصصه ان لم نقل انها أقوى قصة له على الاطلاق . وقد نقلها الى العربية الاستاذان صالح بكتاش والسيد كامل الشرقاوى يهاجم المؤلف فى هذه القصة العدالة كما تفهمها القوانين الصارمة التى لاتحسب للشاعر المختلفة والمواقف المتباينة حسابا . فهى مأساة تدور حول زوجة لاقت من زوجها الغليظ عيشة مريرة . ومع ذلك فلا يبيع لها القانون أن تنفصل عنه لتتزوج من شاب آخر أحبها وأحبته . كذلك انتقد المؤلف نظام السجون وبين كيف أنها أقرب الى افساد النفوس الطيبة منها الى اصلاح النفوس الشريرة . ونحب أن نلاحظ انحرافا فى ترجمة عنوان القصة ، فقد كان أولى أن يكون العدالة أو القضاء لأنها أصدق تعريفاً لكلمة Justice من هذا العنوان الحالى

ز . ن . م

١ — القوميات

٢ — روح المبدأ والوطن

هما مجموعتان من الشعر نظمهما الأديب السورى حسن حفار وهما كما يدل عليهما العنوانان ، يفيضان بحماسة الشباب وقوة الوطنية وسمو الطموح ، فلا يسعك حين تلاوة ما يحويان من شعر الا ان تحس مع الشاعر نزعة وثابة الى الحرية والعزة القومية كما تلح حيننا ظاهرا الى الاقطار العربية عامة ولكنا يجب أن نشير الى ضعف فى اللفظ يسود الكتاتين . ونرجو أن يتاح لهذا الشعور المتدفق لفظ يناسبه قوة وجزالة

ز . ن . م

الرسالة — لدى الادارة أعداد من المجلة من مبدأ ظهورها الى الآن تباع بثمانية المعتاد لكل من يطلبها

الفجر

مجموعة من الشعر

يا ويح مصر من الشعر والشعراء ! يا ويحها من هذا الشعر الزائف الذى يملأ الصحف والدواوين ! فكل من اهتزت فى يده يراعة فى هذا البلد يريد أن يكون شاعرا ، حتى غصت بالشعراء حجرات المدارس !! الشعر فى كل أقطار الارض عبقرية لا يسمو اليها الا الاقلون ، أما فى مصر ، فهى العوبة اللاعب وهو اللاهى عندى أنه إن لم يرتفع دهبان الشعر بقارته الى مستو أعلى من مستواه الشعورى والفكرى ، بحيث لو كان هائما فى الارض حاق به فى السماء ، وان كان القارئ فى السماء الاولى ، سما به الشعر الى السماء السابعة ، أقول ان لم يكن الشعر كذلك ، فأولى به أن يحبس فى صدور قائله ، فلا يجد سبيلا الى المطابع والمكاتب ثم الى ربوس القراء . أما هذا الهراء الذى يتردد كل يوم ، فى كل صحيفة وفى كل مجال ، فيجب أن يند ، لان الحياة أئمن من أن تضيع فى مثله ، وأقسم بالله لو أن الامر بيدى ، لانتزلت العقاب — العقاب الادبى على الاقل — بهذه الفئة المتشاعرة التى ضقت بها ذرعا .

أقول ذلك بمناسبة هذا الديوان الذى أطلق عليه صاحبه اسم « الفجر » ، ودفعه الى الاستاذ الزيات لاقرأه وأعلق عليه ، فانطلقت أبحث فيه عن شعور قوى واحد أو فكرة عالية فلم أجد ! فم اذن قيل ، وفيه طبع ونشر ، لست أدري . استمع اليه حين يقول فى استقبال صديق :

مرحبا ، مرحبا ، بخير صديق غاب عنا عاما فخلناه دهرنا
مرحبا ، مرحبا ، بخير صديق كان عن أصدقائه مزورا
رام بعدا عنا ، ورام خصاما فجفانا واستبدل الوصل هجرا
بينما نحن لانطبق فراقا لصديق ، وان تباعد شهرا
وبعد فأنى أتوجه بالثناء والاشفاق ، لا الى مؤلف الديوان ولكن الى قرائه : فهو شعور ضعيف فى لفظ ركيك ، سيء الطبع خشن الورق .

ز . ن . م

لجنة التأليف والترجمة والنشر

الحرب العالمية

موضوع من أهم الموضوعات توافر على بحثه مؤرخ عالمي شهير هو الأستاذ سيدني برادشوفين فأخرج فيه كتابه المشهور

السبب في الحرب العالمية

يشرح فيه حالة أوروبا السياسية من حرب السبعين الى فاجعة سراجيفو ، ويعالج الأسباب التي أفضت بعد تلك الفاجعة الى الحرب العالمية ، فهو صفحة شائقة من التاريخ . لا غنى لطالب التاريخ الأوربي الحديث عن دراسته ولا القارئ المثقف عن استكناه خفايا الماضي القريب من بين ثناياه

عربه عن الانجليزية الأستاذ محمود الدسوقي وتولت « لجنة التأليف والترجمة والنشر » إصداره

فناء بجزءه في قرابة ٧٠٠ صفحة
وثمنه ٢٥ قرشاً عدا أجره البريد

النجوم في ميسال الحكا

تأليف

العالم العالمي السير جيمس جينز
وترجمة

الدكتور أحمد عبد السلام الكرداني

ناظر مدرسة القبة الثانوية

وصاحب المؤلفات المعروفة في الكيمياء والطيران والميكانيكا

يبسط خلاصة ما انتهى اليه العلم الحديث في الكون ونظامه وأصله ونشوءه ومداه . ويبحث الطاقة والأشعاع والنسبية والحياة في عالمنا والعوالم الأخرى بأسلوب سهل طلي يجعلك تقرأ هذا العلم الدقيق كما تقرأ الرواية الممتعة

يحتوى على سبع وأربعين لوحة وأربع خرائط وقوائم بالمصطلحات وبأسماء النجوم باللغتين الانجليزية والعربية طبعته اللجنة بدار الكتب المصرية على ورق صقيل في نحو ٢٦٠ صفحة وثمنه ١٦ قرشاً عدا أجره البريد

فتح العرب لمصر

تأليف الدكتور بـلـر

وتعريب الأستاذ محمد فريد ابو حديد

يصف خير وصف حالة مصر من الوجهة السياسية والعلمية قبل الفتح وأثناءه وبعده
وثمنه ٤٠ قرشاً عدا أجره البريد

حياة نابليون

للأستاذ حسن جلال

مؤلف الثورة الفرنسية

يبحث بحثاً مستفيضاً في حياة نابليون وحروبه وآثاره
ويقع في جزئين — وثمنه ٢٠ قرشاً

طبع بمطبعة فاروق ٢٨ شارع المدايق

تطلب هذه الكتب من اللجنة بشارع الساحرة رقم ٣٩ بالقاهرة